


Princeton University Library
32101 081406694

ابن بطّوطة

تحفة النظار

في غرائب الامصار ، وعجائب الاسفار

٣

درس ومنتخبات

بقلم

فؤاد افرام البُستاني

استاذ الآداب العربيّة في كليّة القدّيس يوسف

طبعة ثانية منقّحة ومزيد عليها

الالف العاشر

المطبعة الكاثوليكية

بيروت

Exp. ١٩٣٧ ٦ – ١

ظهرت الطبعة الاولى من هذا الجزء في آب ١٩٣٧

ابن بطّوطة ورحلته

وُلد ابو عبد الله محمد المعروف بابن بطُّوطة في طنجة سنة ١٣٠٤ . ولم يبلغ الثانية والعشرين من عمره حتى دفع به عامل التقوى الى الحجّ ، فقصد مكة سنة ١٣٢٥ . بيد ان حبه للاسفار ساقه الى مختلف البلاد : فقام برحلة اولى زار فيها افريقية الشمالية ، فبلاد الشام ، فجزيرة العرب ، فافريقية الشرقية ، فآسية الصغرى ، فروسية الجنوبية ، فالقسطنطينية ، فالسِند ، والهند ، والصين . ورجع الى مراكش سنة ١٣٤٩ .

ولم يلبث ان قام برحلة ثانية الى بلاد الاندلس (١٣٥٠ — ١٣٥١) . فثالثة الى بلاد السودان (١٣٥٢ — ١٣٥٤) فزار تنبكتو ، وتكدا ، وبلاد هكار .

ثم عاد الى فاس فاكرمه سلطانها ، وامره ان يملي رحلته على احد كتّابه ، محمد بن جُزَيّ . فقام بذلك ، وسمّى الكتاب « تحفة النظّار في غرائب الامصار ، وعجائب الاسفار » .

وتوفي ابن بطوطة سنة ١٣٧٧ . ولا شكّ في ان فضله جزيل على علم الجغرافية لما ترك من المعلومات الكثيرة والملاحظات الدقيقة . وقد اسهبنا في حياته ، وصدقه ، وامانته ، في مقدمة الجزء الاول من الرحلة ، فليُراجع . وتركناه ، في الجزء الثاني ، في القسطنطينية ، بعد ان زار مراكش ، وتونس ، والجزائر ، والقطر المصري ، وفلسطين ، ولبنان ، وسورية ، والحجاز ، والعراق ، وفارس ، وديار بكر ، وافريقية الشرقية ، واليمن ، وعمان ، وهُرمُز ، واللار ، والبحرين ، والقريم ، وروسية الجنوبية . وها هو يتكلم الآن عن خوارزم :



تحفة النظار

في غرائب الامصار، وعجائب الاسفار

الرحلة الاولى

١٤ حزيران ١٣٢٥ – ٨ تشرين الثاني ١٣٤٩



الفصل الثاني عشر

خوارزم — خراسان — افغانستان

ترك ابن بطوطة مدينة السِرا قاصداً بلاد خوارزم ، فمرَّ بمدينة سراچوق ؛ ثم سار « ثلاثين يوماً سيرًا جادًا » الى ان وصل مدينة خوارزم « وهي اكبر مدن الاتراك ، واعظمها ، واجملها ، واضخمها » . فذكر اميرها وامرأته ، وقاضيها ، وبطيخها .

ذكر بطيخ خوارزم

وبطيخ خوارزم لا نظير له في الدنيا ، شرقاً ولا غرباً ، الا ما كان من بطيخ بخارى ، ويليه بطيخ اصفهان[1] . وقشره اخضر ، وباطنه احمر ، وهو صادق الحلاوة ، وفيه صلابة . ومن العجائب انه يُقدَّد ويُيبَس في الشمس ، ويجعل في القواصر ، كما يُصنع عندنا بالشريحة ، وبالتين المالقي . ويحمل من خوارزم الى اقصى بلاد الهند والصين . وليس في جميع الفواكه اليابسة اطيب منه . وكنت ايام اقامتي بدهلي ، من بلاد الهند ، متى قدم المسافرون ، بعثت من يشتري لي منهم قَديد البطيخ . وكان ملك الهند ، اذا أُتي اليه بشيء منه ، بعث اليَّ به ، لما يعلم من محبتي فيه . ومن عادته انه يُطرف الغرباء بفواكه بلادهم ، ويتفقدهم بذلك .

وسار من خوارزم الى بُخارى ثمانية عشر يوماً في بريّة لا عمارة بها إلا مدينة

---

١) راجع ذكر بطيخ اصفهان في الجزء السابق ، ص : ٦١

الكات . فوصل الى بُخارى ، وكانت خراباً إلا القليل . وهنا ذكر تولي التتر عليها مبتدئاً بتنكيزخان (جنكيزخان) . ثم ذكر سلطان ما وراء النهر واسمه طَرمَشيرين ، فاقام عنده ٥٤ يوماً . وبعد ان اعطاه السلطان ٧٠٠ دينار دراهم « وفروة سمّور تساوي مائة دينار » ، وفرسين ، وجملين ، انصرف قاصدًا

سَمَرقَند

وهي من اكبر المدن ، واحسنها ، واتمها جمالاً ، مبنية على شاطئ وادٍ يُعرَف « بوادي القصّارين » ، عليه النواعير تسقي البساتين ، وعنده يجتمع اهل البلد ، بعد صلاة العصر ، للنزهة والتفرج . ولهم عليه مساطب ، ومجالس يقعدون عليها ، ودكاكين تُباع فيها الفاكهة ، وسائر المأكولات . وكانت على شاطئه قصور عظيمة ، وعمارة تُنبئ عن علو همم اهلها ، فدثَر اكثر ذلك ، وكذلك المدينة ، خرب كثير منها . ولا سور لها ، ولا ابواب عليها ، وفي داخلها البساتين .

واهل سمرقند لهم مكارم اخلاق ، ومحبة في الغريب ، وهم خير من اهل بُخارى . . .

ترمذ

ثم وصلنا الى مدينة ترمذ ، التي يُنسب اليها الامام ابو عيسى محمد بن عيسى بن سُورة الترمذي[1] ، مؤلف « الجامع » الكبير في السنن . وهي مدينة كبيرة ، حسنة العمارة والاسواق ، تخترقها الانهار . وبها البساتين الكثيرة ، والعنب ، والسفرجل بها كثير متناهي الطيب . واللحوم بها

١) ابو عيسى الترمذي († ٨٩٢) وُلد في بوش، قرب ترمذ ، وفيها مات . كان تلميذ البخاري (٨١٠ – ٨٧٠) . وقد طبع كتابه « الجامع » المذكور في بولاق .

كثيرة ، وكذلك الالبان . واهلها يغسلون رؤوسهم ، في الحمّام ، باللبن عوضاً عن الطفل [١] . ويكون عند كل صاحب حمّام اوعية كبار ، مملوءة لبناً . فاذا دخل الرجل الحمّام ، اخذ منها في اناء صغير ، فغسل رأسه ، وهو يرطّب شعره ، ويصقله . واهل الهند يجمعون في رؤوسهم زيت السمسم ، ويسمّونه « السيراج » ، ويغسلون الشعر بعده بالطفل ، فينعم الجسم ، ويصقل الشعر ويطيله ، وبذلك طالت لِحى اهل الهند ومن سكن معهم .

وكانت مدينة ترمذ القديمة مبنية على شاطئ جيحون ، فلما خربها تنكيز ، بُنيت هذه الحديثة ، على ميلين من النهر . . .

بلاد خُراسان : بَلخ

ثم اجزنا نهر جيحون الى بلاد خُراسان . وسرنا ، بعد انصرافنا من ترمذ ، واجازة الوادي ، يوماً ونصف يوم في صحراء ورمال لا عمارة بها الى مدينة بلخ .

وهي خاوية على عروشها ، غير عامرة ؛ ومن رآها ظنها عامرة ، لاتقان بنائها . وكانت ضخمة فسيحة . ومساجدها ومدارسها باقية الرسوم حتى الآن . ونقوش مبانيها مدخلة باصبغة اللازورد ، والناس ينسبون اللازورد الى خُراسان ، وانما يُجلب من جبال بَدَخشان ، التي يُنسب اليها الياقوت البدَخشي ، والعامّة يقولون : البلَخش .

وخرّب هذه المدينة تنكيز اللعين ، وهدم من مسجدها نحو الثلث ، بسبب كنز ذُكِر له انه تحت سارية من سواريه . وهو من احسن مساجد الدنيا ، وافسحها . ومسجد رباط الفتح ، بالمغرب ، يشبهه في عظم سواريه .

---

١) الطفل : نوع من الحوّارى

ومسجد بلخ اجمل منه في سوى ذلك.

وسار من هناك في جبال قوه استان ، الى مدينة هراة ، فمدينة الجام

طوس : مشهد الرضى

ثم سافرنا من الجام الى مدينـة طوس ، وهي اكبر بلاد خُراسان واعظمها ، بلد الامام الشهير ابي حامد الغزالي[1] (رضه) ، وبها قبره.

ورحلنا منها الى مدينة مشهد الرضى ، وهو علي بن موسى الكاظم ، ابن جعفر الصادق ، بن محمد الباقر ، بن علي زين العابدين ، بن الحسين الشهيد ، بن امير المؤمنين علي بن ابي طالب ، رضي الله عنهم . وهي ايضاً مدينة كبيرة ضخمة كثيرة الفواكه ، والمياه ، والارحاء الطاحنة.

قبر الرضى وقبر هارون الرشيد

والمشهد المكرَّم عليه قبة عظيمة ، في داخل زاوية ، وتجاورهـا مدرسة ومسجد ، وجميعها مليح البناء ، مصنوع الحيطان بالقاشاني . وعلى القبر دكّانة خشب ، ملبَّسة بصفائح الفضة ، وعليه قناديل فضة معلّقة . وعتبة باب القبـة فضة ، وعلى بابها ستر حرير مذهب ، وهي مبسوطة بانواع البُسُط . وازاء هذا القبر ، قبر هارون الرشيد ، امير المؤمنين (رضه) وعليـه دكّانة يضعون عليهـا الشمعدانات ، التي يعرفها اهل المغرب

١) الغزالي : من اعظم فلاسفة الاسلام في المشرق . وُلد في طوس سنة ١٠٥٩ وتوفي في نيسابور ، في ١٩ كانون الاول ١١١١ ، تاركاً عدّة تآليف في الفلسفة والدين اشهرها : « احياء علوم الدين » ، و « ايها الولد » ، و « مقاصد الفلاسفة » ، و « تهافت الفلاسفة » ، و « المنقذ من الضلال » . وكلها نفيسة اولت صاحبها لقب « حجة الدين »

بالحسك والمنائر . واذا دخل الرافضي للزيارة ، ضرب قبر الرشيد برجله ، وسلّم على الرضى .

ورحل من هنـاك الى سَرَخْس ، فنيسابور ، فبسطام ، فقندوس ، وبُغلان ، فجبل هندوكوش ، « ومعناه قاتل الهنود ، لان العبيد والجواري الذين يؤتى بهم من بلاد الهند ، يموت هناك الكثير منهم ، لشدّة البرد وكثرة الثلج » ، فبنج هير ، فبَرْوَن ، فالجرخ

بلاد افغانستان : غزنة

ثم سافرنا الى مدينــة غزنة ، وهي بلد السلطان المجاهد محمود بن سُبُكْتُكِين الشهير الاسم ، وكان من كبار السلاطين ، يلقَّب « بيمين الدولة » . وكان كثير الغزو الى بلاد الهند ، وفتح بها المدائن والحصون . وقبره بهذه المدينة عليه زاوية . وقد خرب معظم هذه البلدة ولم يبقَ منها الا يسير ، وكانت كبيرة . وهي شديد البرد . والساكنون بها يخرجون عنها ، ايام البرد ، الى مدينة القندهار ، وهي كبيرة مخصبة ، ولم ادخلها . وبينهما مسيرة ثلاث .

كابُل : الافغان

ثم سافرنا الى كابل ، وكانت ، فيما سلف ، مدينة عظيمة . وبها الآن قرية يسكنها طائفة من الاعاجم يقال لهم « الأفغان » . ولهم جبـال وشِعاب ، وشوكة قوية ، واكثرهم قطّاع الطريق .

الفصل الثالث عشر

السند — الهند

وترك كابُل ، فنزل ششنغار ، « وهي آخر العمارة مما يلي بلاد الترك »

في الصحراء

ومن هنـاك دخلنا البرية الكبرى ، وهي مسيرة خمس عشرة ، لا تُدخل الا في فصل واحـد ، وهو بعد نزول المطر بارض السِند والهند ، وذلك في اوائل شهر يوليه . وتهبّ ، في هذه البرية ، ريح السَّموم القاتلة التي تعفّن الجسوم ، حتى ان الرجل ، اذا مـات ، تتفسّخ اعضاؤه . . . وكانت تقدّمت امامنا رفقة كبيرة فيها خُداوَند زاده قاضي تِرمذ ، فمات لهم جمال وخيل كثيرة . ووصلت رفقتنا سالمة ، بحمد الله تعالى ، الى بنج آب ، وهو ماء السند . وكان وصولنا الى هذا النهر ، سلخ ذي الحجة ، واستهلّ علينا تلك الليلة هلال المحرّم من عام اربعة وثلاثين وسبعمائة[1] . ومن هنالك كتب المخبرون بخبرنا الى ارض الهنـد ، وعرّفوا ملكها بكيفية احوالنا .

وها هنا ينتهي بنا الكلام في هذا السفر ، والحمد لله رب العالمين .

هذا ختام الجزء الاول من الرحلة . وقد بدأ الجزء الثاني بذكر نهر السند ، بنج آب ، « وهو عمالة السلطان المعظّم محمد شاه ، ملك الهند والسند » . ومن هناك اتجه الرحالة نحو مُلتان ودهلي

---

١) الموافق ١٢ ايلول ١٣٣٣

ذكر الكركدّن

ولما اجزنا نهر السِند المعروف ببنج آب ، دخلنا غيضة قصب لسلوك الطريق ، لانه في وسطها . فخرج علينا الكركدّن . وصورته انه حيوان اسود اللون ، عظيم الجرم ، رأسه كبير متفاوت الضخامة . ولذلك يُضرب المثل فيقال : « الكركدّن رأس بلا بدن . » وهو دون الفيل ، ورأسه اكبر من رأس الفيل باضعاف . وله قرن واحد بين عينيه طوله نحو ثلاثة اذرع ، وعرضه نحو شبر . ولما خرج علينا عارضه بعض الفرسان في طريقه ، فضرب الفرس الذي كان تحته بقرنه ، فانفذ فخذه وصرعه . وعاد الى الغيضة ، فلم نقدر عليه . وقد رأيت الكركدّن مرّة ثانية في هذا الطريق ، بعد صلاة العصر ، وهو يرعى نبات الارض . فلما قصدناه هرب منا . ورأيته مرّة أخرى ، ونحن مع ملك الهند ، دخلنا غيضة قصب ، وركب السلطان على الفيل ، وركبنا معه الفِيَلَة . ودخلت الرجالة والفرسان ، فاثاروه ، وقتلوه ، واستاقوا رأسه الى المحلّة .

وسار الى مدينة جناني ، وفيها طائفة السامرة

السامرة

لا يأكلون مع احد ، ولا ينظر اليهم احد حين يأكلون . ولا يصاهرون احداً من غيرهم ، ولا يصاهر اليهم احد .

سيوستان

وهي مدينة كبيرة ، وخارجها صحراء ورمال ، لا شجر بها إلا شجر ام غيلان . ولا يُزدرع على نهرها شيء ما عدا البطيخ . وطعامهم الذرة والجُلُبّان ، ويسمونه « المُشْنك » ، ومنه يصنعون الخبز . وهي كثيرة

السمك ، والالبان الجاموسية . واهلها يأكلون السَقَنْقُور ، وهي دويبة شبيهة بام جُبين[1] التي يسميها المغـاربة « حُنَيْشَة الجنة » الا انها لا ذنب لها . ورأيتهم يحفرون الرمل ، ويستخرجونها منه ، ويشقون بطنها ، ويرمون بما فيه ، ويحشونه بالـكُركُم[2] ، وهو عندهم عوض الزعفران . ولما رأيت تلك الدويبة وهم يأكلونها ، استقذرتها فلم آكلها .

ودخلنا هذه المدينة ، في احتدام القيظ ، وحرُّها شديد . فكان اصحابي يقعدون عريانين ، يجعل احدهم فوطة على وسطه ، وفوطة على كتفيه ، مبلولة بالماء ، فما يمضي اليسير من الزمان حتى تيبس تلك الفوطة فيبلُّها مرةً أخرى ، هكذا ابداً .

ويسير من هناك في نهر السند (الاندوس) الى مدينة لاهري ، « وبهـا يصب نهر السند في البحر »

ذكر غريبة رأيتها بخارج هذه المدينة

وركبت يوماً مع علاء الملك (امير لاهري) ، فانتهينا الى بسيط من الارض على مسافة سبعة اميال منها يُعرف « بتارنا » ، فرأيت هنالك ما لا يحصره العدّ من الحجارة على مثل صور الآدميين والبهائم . وقد تغيّر كثير منها ودثرت اشكاله ، فيبقى منه صورة رأس ، او رجل ، او سواهما . ومن الحجارة ايضاً على صور الحبوب من البُرّ ، والحمص ، والفول ، والعدس . وهنالك آثار سور ، وجدران دور . ثم رأينا رسم دار فيها بيت

١) ام جُبَين : اي الحرباء

٢) الكُركُم : نوع من النبات ينبت في البلاد الحارة ، ويزهر في عناقيد صفراء

من حجارة منحوتة . وفي وسطه دكّانة حجارة منحوتة ، كأنها حجر واحد عليها صورة آدمي . إلا ان رأسه طويل ، وفمه في جانب من وجهه ، ويداه خلف ظهره كالمكتوف . وهناك مياه شديدة النتن ، وكتابة على بعض الجدران بالهندي . واخبرني علاء الملك ان اهل التاريخ يزعمون ان هذا الموضع كانت فيه مدينة عظيمة ، اكثرَ اهلها الفساد فمُسخوا حجارة ؛ وان ملكهم هو الذي على الدكانة ، في الدار التي ذكرناها . وهي الى الان تُسمّى « دار الملك » ؛ وان الكتابة التي في بعض الحيطان هنالك بالهندي ، هي تاريخ هلاك اهل تلك البلد . وكان ذلك منذ الف سنة او نحوها .

ثم سافر الى مدينة بَكار ، فمدينة أُوجه ، فمُلْتان ، « قاعدة بلاد السند ، ومسكن امير امرائه » ، فذكر اميرها ، قطب الملك ، وما اهدى اليه . وبعد ان اقام هناك مدة شهرين ، سافر متجهاً الى دِهلي

ذكر اشجار بلاد الهند وفواكهها

العَنْبَة

فمنها العنبة ، وهي شجرة تشبه اشجار النارنج . الا انها اعظم اجراماً ، واكثر اوراقاً ، وظلّها اكثر الظلال ، غير انه ثقيل ، فمن نام تحته وُعك . وثمرها على قدر الاجاص الكبير . فاذا كان اخضر قبل تمام نضجه ، اخذوا ما سقط منه ، وجعلوا عليه الملح ، وصيّروه كما يصيّر الليم[1] والليمون ببلادنا . وكذلك يصيّرون ايضاً الزنجبيل الاخضر ، وعناقيد الفلفل ، ويأكلون ذلك مع الطعام ، يأخذون بأثر كل لقمة يسيراً من هذه

---

١) الليم : الليمون الحلو

المملوحات . فاذا نضجت العنبة في اوان الخريف ، اصفرّت حبأتها ، فأكلوها كالتفاح . فبعضهم يقطعها بالسكين ، وبعضهم يمصّها مصاً . وهي حلوة يمازج حلاوتها يسير حموضة . ولها نواة كبيرة يزرعونها فتنبت منها الاشجار ، كما تزرع نوى النارنج وغيرها .

الشَكي والبَرْكي

ومنها الشكي والبركي ، وهي اشجار عادية ، اوراقها كاوراق الجوز ، وثمرها يخرج من اصل الشجرة . فما اتصل منه بالارض فهو البركي ، وحلاوته اشدّ ، ومطعمه اطيب ؛ وما كان فوق ذلك فهو الشكي ، وثمره يشبه القرع الكبار ، وجلوده تشبه جلود البقر . فاذا اصفرّ ، في اوان الخريف ، قطعوه ، وشقوه ، فيكون في داخل كل حبة المائة والمائتان فما بين ذلك من حبأت تشبه الخيار ؛ بين كل حبّة وحبّة صِفاق اصفر اللون . ولكل حبة نواة تشبه الفول الكبير . واذا شويت تلك النواة او طبخت ، يكون طعمها كطعم الفول ، اذ ليس يوجد هنالك . ويدّخرون هذه النوى في التراب الاحمر فتبقى الى سنة أُخرى . وهذا الشكي والبركي هو خير فاكهة ببلاد الهند .

التَنْدُو

ومنها التندو ، وهو ثمر شجر الآبنوس ؛ وحبأته في قدر حبأت المشمش ولونها ؛ شديد الحلاوة .

الجُمون

ومنها الجمون ، واشجاره عادية ، ويشبه ثمره الزيتون ، وهو اسود اللون ، ونواه واحدة كالزيتون .

النارنج الحلو

ومنها النارنج الحلو ، وهو عندهم كثير. واما النارنج الحامض فعزيز الوجود. ومنه صنف ثالث يكون بين الحلو والحامض ، وثمره على قدر الليم ، وهو طيّب جدًّا ، وكنت يعجبني اكله.

المَهوا

ومنها المهوا ، واشجاره عاديّة ، واوراقه كاوراق الجوز ، الا ان فيها حمرة وصفرة . وثمره مثل الاجاص الصغير ، شديد الحلاوة . وفي اعلى كل حبّة منه حبة صغيرة بمقدار حبة العنب مجوّفة ، وطعمها كطعم العنب . إلا ان الاكثار من اكلها يُحدث في الرأس صداعاً . ومن العجب ان هذه الحبوب ، اذا يبست في الشمس ، كان مطعمها كطعم التين . وكنت آكلها عوضاً من التين ، اذ لا يوجد ببلاد الهند . وهم يسمّون هذه الحبة « الانكور » وتفسيره بلسانهم « العنب » ، والعنب بارض الهند عزيز جدًّا ، ولا يكون بها الا في مواضع بحضرة دهلي ، وببلاد أُخر . ويثمر (المهوا) مرتين في السنة ، ونوى هذا الثمر يصنعون منه الزيت ويستصبحون به .

كَسيرا

ومن فواكههم فاكهة يسمّونها كَسيرا ، يحفرون عليها الارض، وهي شديدة الحلاوة ، تشبه القسطل .

وببلاد الهند من فواكه بلادنا الرمّان ، وهو يثمر مرّتين في السنة . ورأيته ببلاد جزائر ذِيبة المهل ، لا ينقطع له ثمر . وهو يسمّونه « أنار » ، واظن ذلك هو الاصل في تسمية الجلنار ، فان « جل » بالفارسية : الزهر ، و « أنار » : الرمان .

ذكر اهل الهند الذين يحرقون انفسهم بالنار

رأيت الناس يهرعون من عسكرنا ، ومعهم بعض اصحابنا ، فسألتهم : « ما الخبر ؟ » فأخبروا ان كافراً من الهنود مات ، وأُججت النار لحرقه ، وامرأته تحرق نفسها معه . ولما احترقا ، جاء اصحابي واخبروا انها عانقت الميت حتى احترقت معه . وبعد ذلك ، كنت ، في تلك البلاد ، ارى المرأة من كفّار الهنود متزيّنة ، راكبة ، والناس يتبعونها ، من مسلم وكافر ؛ والاطبال والابواق بين يديها ؛ ومعها البراهمة ، وهم كبراء الهنود . واذا كان ذلك ببلاد السلطان ، استأذنوا السلطان في احراقها ، فيأذن لهم ، فيحرقونها .

ثم اتفق ، بعد مدّة ، اني كنت بمدينة اكثر سكانها الكفار ، تُعرف « بأمجري » ، واميرها مسلم من سامرة السند ، وعلى مقربة منها الكفّار العصاة ، فقطعوا الطريق يوماً . وخرج الامير المسلم لقتالهم ، وخرجت معه رعيّة من المسلمين والكفّار . ووقع بينهم قتال شديد مات فيه من رعية الكفار سبعة نفر . وكان لثلاثة منهم ثلاث زوجات . فاتفقن على احراق انفسهنّ . واحراق المرأة بعد زوجها عندهم امرٌ مندوبٌ اليه[1] ، غير واجب . لكن من احرقت نفسها ، بعد زوجها ، احرز اهل بيتها شرفاً بذلك ، ونُسبوا الى الوفاء . ومن لم تحرق نفسها ، لبست خشن الثياب ، واقامت عند اهلها بائسة ممتهنة ، لعدم وفائها ؛ ولكنها لا تُكره على احراق نفسها .

---

١) مندوب اليه : اي مشارٌ به

ولما تعاهدت النسوة الثلاث ، اللائي ذكرناهنّ ، على احراق انفسهنّ ، اقمن ، قبل ذلك ، ثلاثة ايام في غناء وطرب ، واكل وشرب ، كأنهنّ يودّعن الدنيا ، ويأتي اليهنّ النساء من كل جهة . وفي صبيحة اليوم الرابع ، أُتيت كل واحدة منهنّ بفرس ، فركبته ، وهي متزيّنة ، متعطّرة ، وفي يمناها جوزة نارجيل تلعب بها ، وفي يسراها مرآة تنظر فيها وجهها . والبراهمة يحفّون بها ، واقاربها معها ، وبين يديها الاطبال والابواق والانفار . وكل انسان من الكفّار يقول لها : « ابلغي السلام الى ابي ، او اخي ، او أُمي ، او صاحبي » . وهي تقول : « نعم » . وتضحك اليهم .

وركبت مع اصحابي لارى كيفية صنعهنّ في الاحتراق . فسرنا معهنّ نحو ثلاثة اميـال ، وانتهينا الى موضع مظلم ، كثير المياه والاشجار ، متكاثف الظلام ، وبين اشجاره اربع قباب في كل قبة صنم من الحجارة ، وبين القباب صهريج ماء قد تكاثفت عليه الظلال ، وتزاحمت الاشجار ، فلا تتخلّلها الشمس . فكأن ذلك الموضع بقعة من بقع جهنّم ، اعاذنا الله منها !

ولمـا وصلنَ الى تلك القباب ، نزلنَ الى الصهريج وانغمسنَ فيه ، وجرّدنَ ما عليهنّ من ثياب وحلي ، فتصدّقنَ به . وأُتيت كل واحـدة منهنّ بثوب قطن خشن ، غير مخيط . فربطت بعضه على وسطها ، وبعضه على رأسها وكتفيها . والنيران قد أُضرمت على قرب من ذلك الصهريج في موضع منخفض ، وصُبّ عليها روغن كنجت ، وهو زيت الجُلْجُلان[1] ، فزاد في اشتعالها . وهنالك نحو خمسة عشر رجلًا بايديهم حزم من الحطب

---

١) زيت الجُلْجُلان : زيت السمسم

الرقيق ، ومعهم نحو عشرة بايديهم خشب كبار . واهل الاطبال والابواق وقوف ينتظرون مجيء المرأة . وقد حجبت النار بلحفة يمسكها الرجال بايديهم ، لئلا يدهشها النظر اليها . فرأيت احداهنّ ، لما وصلت الى تلك الملحفة ، نزعتها من ايدي الرجال بعنف ، وقالت لهم : « مارا ميترسانى از اطش من ميدانم او اطش است رِهاكنى مارا » ، وهي تضحك . ومعنى هذا الكلام : « أبالنار تخوّفونني ؟ انا اعلم انها نارٌ محرقة » . ثم جمعت يديها على رأسها خدمةً للنار ، ورمت بنفسها فيها . وعند ذلك ضربت الاطبال والانفار والابواق ، ورمى الرجال ما بايديهم من الحطب عليها ، لئلا تتحرّك . وارتفعت الاصوات ، وكثر الضجيج . ولما رأيت ذلك كدت اسقط عن فرسي ، لولا اصحابي تداركوني بالماء ، فغسلوا وجهي ، وانصرفت .

ثم سافر الى سرستي ، ومسعود اباد ، وپالم . ومنها رحل الى مدينة دهلي ، حضرة ملك الهند

ذكر وصفها

ومدينة دهلي كبيرة الساحة ، كثيرة العمارة ، وهي الان اربع مدن متجاورات متصلات :

احداها المسماة بهذا الاسم دهلي ، وهي القديمة ، من بناء الكفّار . وكان افتتاحها سنة اربع وثمانين وخمسمائة[1] .

والثانية تسمّى سيري ، ودار الخلافة ، وهي التي اعطاها السلطان لغياث الدين ، حفيد الخليفة المستنصر العبّاسي ، لما قدم عليه . وبها كان

١) ٥٨٤ = ابتداؤها ٢ اذار ١١٨٨

بسكنى السلطان علاء الدين ، وابنه قطب الدين .

والثالثة تُسمّى تُغلُق أباد باسم بانيها ، السلطان تُغلُق ، والد سلطان الهند الذي قدمنا عليه . وكان سبب بنائه لها انه وقف يوماً بين يدي السلطان قطب الدين فقال له : « يا خوند العالم ، كان ينبغي ان تبني هنا مدينة ! » فقال له السلطان متهكماً : « اذا كنت سلطاناً ، فابنِها » . فكان من قدَر الله أن كان سلطاناً ، فبناها وسمّاها باسمه .

والرابعة تسمّى جِهان پناه ، وهي مختصة بسكنى السلطان محمد شاه ، ملك الهند الآن ، الذي قدمنا عليه . وهو الذي بناها . وكان اراد ان يضمّ هذه المدن الاربع تحت سور واحد ، فبنى منه بعضاً وترك بناء باقيه ، لعظم ما يلزم في بنائه .

ويلي ذلك بحث مستفيض في سور دهلي ، وابوابها ، وجامعها ، وفيه « الصومعة التي لا نظير لها في بلاد الاسلام » ، وممرّها واسع « بحيث تصعد فيه الفيلة » . ويذكر حوضي المدينة ، وبعض مزاراتها ، وبعض علمائها وصلحائها . ثم يتكلّم عن فتح دهلي سنة ٥٨٤ هـ . (١١٨٨) وعمن تداولها من الامراء ، الى ان يذكر السلطان شمس الدين لَلْمِش ، وابنه السلطان ركن الدين ، واخت هذا السلطان رضيّة ، فاخاها السلطان ناصر الدين ، فالسلطان غياث الدين بَلَبَن ، وحكايته الغريبة في وصوله الى الملك :

حكايته الغريبة

يُذكر ان احد الفقراء ببخارى رأى بها بَلَبَن هذا ، وكان قصيرًا ، حقيرًا ، دميماً . فقال له : « يا تركك »[1] وهي لفظة تُعرب عن الاحتقار . فقال له : « لبيك ، يا خوند . »[2] فاعجبه كلامه ، فقال له : « اشترِ لي

١) ومعناها : ايها التركي الصغير

٢) ومعناها : لبيك ، يا سيدي

من هذا الرمان ». واشار الى رمان يُباع بالسوق ، فقال : « نعم ». واخرج فُليسات لم يكن عنده سواها ، واشترى له من ذلك الرمان . فلما اخذها الفقير قال له : « وهبناك مُلك الهند ! » فقبّل بَلَبن يدَ نفسه وقال : « قبلت ورضيت » . واستقرَّ ذلك في ضميره.

واتفق ان بعث السلطان شمس الدين لَلِمش تاجرًا يشتري له المماليك بسمرقند ، وبُخارى ، وترمِذ. فاشترى مائة مملوك كان من جملتهم بَلَبن. فلما دخل بالمماليك على السلطان ، اعجبه جميعهم ، الا بَلَبن لما ذكرناه من دمامته ، فقال : « لا اقبل هذا » . فقال له بَلَبن : « يا خوند عالم ، لمن اشتريت هؤلاء المماليك ؟ » فضحك منه وقال له : « اشتريتهم لنفسي » فقال له : « اشترني انا لله عزَّ وجل ». فقال : « نعم ». وقبله ، وجعله في جملة المماليك. فاحتقر شأنه ، وجُعل في السقّائين.

وكان اهل المعرفة بعلم النجوم يقولون للسلطان شمس الدين : « ان احد مماليكك يأخذ الملك من يد ابنك ، ويستولي عليه. » ولا يزالون يُلقون ذلك ، وهو لا يلتفت الى اقوالهم ، لصلاحه وعدله. الى ان ذكروا ذلك للخاتون الكبرى ، ام اولاده . فذكرت له ذلك ، واثّر في نفسه ، وبعث عن المنجّمين ، فقال : « اتعرفون المملوك الذي يأخذ ملك ابني اذا رأيتموه ؟ » فقالوا له : « نعم عندنا علامة نعرفه بها ». فامر السلطان بعرض مماليكه ، وجلس لذلك . فعُرضوا بين يديه ، طبقةً طبقة ، والمنجمون ينظرون اليهم ، ويقولون : « لم نره بعد ».

وحان وقت الزوال . فقال السقّاؤون بعضهم لبعض : « انا قد جعنا ، فلنجمع شيئاً من الدراهم ، ونبعث احدنا الى السوق ليشتري لنا ما نأكله. فجمعوا الدراهم ، وبعثوا بها بَلَبن ، اذ لم يكن فيهم احقر منه . فلم يجد

بالسوق ما ارادوه ، فتوجه الى سوقٍ اخرى ، وابطأ . وجاءت نوبة السقّائين في العرض ، وهو لم يأتِ بعد . فأخذوا زقّه وماعونه، وجعلوهما على كاهل صبيّ ، وعرضوه على انه بَلَبَن . فلما نودي باسمه جاز الصبي بين ايديهم . وانقضى العرض ، ولم يرَ المنجمون الصورة التي تطلّبوها . وجاء بَلَبَن ، بعد تمام العرض ، لما اراد الله من انفاذ قضائه .

ثم انه ظهرت نجابته، فجعل امير السقّائين . ثم صار من جملة الاجناد . ثم من الامراء . ثم تزوّج السلطان ناصر الدين بنته ، قبل ان يلي الملك . فلما ولي الملك ، جعله نائباً عنه مدّة عشرين سنة . ثم قتله بَلَبَن ، واستولى على ملكه ، عشرين سنة اخرى .

ثم ذكر حفيد بَلَبَن ، السلطان معزّ الدين، فالسلطان جلال الدين ، فالسلطان علاء الدين محمد شاه الخَلْجي، فابنه السلطان شهاب الدين ، فاخاه السلطان قطب الدين ، فالسلطان خسرو خان ناصر الدين ، فالسلطان غياث الدين تُغلق شاه ، الى ان يصل الى

ذكر السلطان ابي المجاهد، محمد شاه بن السلطان غياث الدين تُغلق شاه ، ملك الهند والسند ، الذي قدمنا عليه

وهذا الملك احب الناس لاسداء العطايا ، واراقة الدماء . فلا يخلو بابه عن فقيرٍ يُغنى ، او حيّ يُقتل . وقد شُهرت في الناس حكايته في الكرم والشجاعة ، وحكايته في الفتك والبطش بذوي الجنايات . وهو اشدّ الناس ، مع ذلك ، تواضعاً ، واكثرهم اظهاراً للعدل والحق ، وشعائر الدين عنده محفوظة ، وله اشتداد في امر الصلاة والعقوبة على تركها . وهو من الملوك الذين اطّردت سعادتهم ، وخرق المعتاد يمنُ نقيبتهم .

ولكن الاغلب عليه الكرم.

ثم ذكر من اخباره العجائب والغرائب، مبتدئاً بالكلام عن مِشوره، فترتيب جلوسه للناس، فدخول الغرباء واصحاب الهدايا اليه، فدخول هدايا عماله، فخروجه للعيدين، وجلوسه يوم العيد، وذكر ترتيبه اذا قدم من سفره« فينصب الرعّادات الصغار على الفيلة ترمي بالدنانير والدراهم على الناس فيلتقطونها، من حين دخوله الى المدينة حتى وصوله الى قصره.» الى غير ذلك من المبالغات التي انتقده عليها ابن خلدون (١.

ويلي ذلك اخبار هذا السلطان في الجود والكرم، امثال الحكايات التي ذكرها في كلامه عن ملك شيراز، فلتراجع (٢.

ويختم بذكر فظائعه وفتكاته :

ذكر فتكات هذا السلطان وما نُقم من افعاله

وكان على ما قدَّمنا من تواضعه، وانصافه، ورفقه بالمساكين، وكرمه الخارق للعادة، كثير التجاسر على اراقة الدماء، لا يخلو بابه عن مقتول، الا في النادر. وكنت كثيراً ما ارى الناس يُقتلون على بابه، ويُطرحون هنالك. ولقد جئت يوماً، فنفر بي الفرس، ونظرت الى قطعة بيضاء في الارض، فقلت : «ما هذه؟» فقال بعض اصحابي : «هي صدر رجل قُطع ثلاث قطع». وكان يعاقب على الصغيرة والكبيرة، ولا يحترم احداً من اهل العلم والصلاح والشرف. وفي كل يوم، يرد على المشور من المسلسَلين، والمغلولين، والمقيّدين، مئون. فمن كان للقتل قُتل، او للعذاب عُذّب، او للضرب ضُرب. وعادته ان يؤتى كل يوم بجميع من

١) راجع المقدمة ص: يا

٢) راجع ص: ٦٤ و٦٥

في سجنه من النـــاس الى المشور ، ما عدا يوم الجمعة ، فانهم لا يخرجون فيه ، وهو يوم راحتهم يتنظّفون فيه ويستريحون . اعاذنا الله من البلاء .

ذكر قتله لاخيه

وكان له اخ اسمه مسعود خان ، وامه بنت السلطان علاء الدين . وكان من اجمل صورة رأيتها في الدنيا . فاتهمه بالقيام عليه ، وسأله عن ذلك ، فاقرّ خوفاً من العذاب . فانه من انكر ما يدّعيه عليه السلطان من مثل ذلك ، يعذّب . فيرى الناس ان القتل اهون عليهم من العذاب . فامر به ، فضُربت عنقه في وسط السوق ، وبقي مطروحاً هنالك ثلاثة ايام على عادتهم .

ذكر تخريبه لدِهلي ، ونفي اهلها ، وقتل الاعمى والمُقعَد

ومن اعظم مـــا كان يُنقم على السلطان اجلاؤه لاهل دهلي عنها . وسبب ذلك انهم كانوا يكتبون بطائق فيهـــا شتمه وسبُّه ، ويختمون عليها، ويكتبون عليها : «وحقّ راس خوند عالم ، ما يقرأه غيره» . ويرمونه بالمشوَر ليلًا . فاذا فضّها وجد فيها شتمه وسبّه . فعزم على تخريب دِهلي . واشترى من اهلهـــا جميعاً دورهم ومنازلهم ، ودفع لهم ثمنها ، وامرهم بالانتقال عنها الى دولة آباد . فابوا ذلك . فنادى مناديه ان لا يبقى بها احد بعد ثلاث . فانتقل معظمهم ، واختفى بعضهم في الدور . فأمر بالبحث عمن بقي بها ، فوجد عبيدُه بازقّتها رجلين : احدهما مُقعد ، والآخر اعمى . فاتوا بهما . فأمر بالمُقعَد ، فرُمي به في المنجنيق ، وامر ان يُجرّ الاعمى من دِهلي الى دولة آباد مسيرة اربعين يوماً . فتمزّق في الطريق ، ووصل

منه رِجْلُه . ولمـا فعل ذلك خرج اهلها جميعاً وتركوا اثقالهم وامتعتهم . وبقيت المدينـة خاوية على عرشها . فحدثني من اثق به قال : « صعد السلطان ليلةً الى سطح قصره فنظر الى دِهلى ، وليس بها نار، ولا دخان، ولا سراج ، فقال : « الآن طاب قلبي ، وتهدَّن خاطري ! » ثم كتب الى اهل البـلاد ان ينتقلوا الى دِهلي ليعمّروها . فخربت بلادهم ، ولم تعمر دِهلي لاتساعها وضخامتها ، وهي اعظم مدن الدنيا . وكذلك وجدناها لما دخلنا اليها ، خالية ليس بها إلا قليل عمارة.

ذكر الغلاء الواقع بارض الهند

وفي مدة مغيب السلطان عن حضرته ، اذ خرج بقصد بلاد المَعْبَر ، وقع الغـلاء ، واشتدَّ الامر ، وانتهى المنّ الى ستين درهماً . ثم زاد على ذلك . وضاقت الاحوال ، وعظم الخطب . ولقد خرجت مرة الى لقـاء الوزير ، فرأيت ثلاث نسوة يقطعن قطعاً من جلد فرس مات منذ اشهر، ويأكلنه . وكانت الجلود تُطبخ وتُباع في الاسواق . وكان الناس ، اذا ذُبحت البقر ، اخذوا دماءها ، فأكلوها . وحدثني بعض طلبة خراسان ، انهم دخلوا بلدةً تسمّى إكروهة ، بين حانسي وسرستي ، فوجدوهـا خالية ، فقصدوا بعض المنازل ليبيتوا به ، فوجدوا في بعض بيوته ، رجلاً قد اضرم ناراً وبيده رجل آدمي ، وهو يشويها في النار ويأكل منها . والعياذ بالله !

ولما اشتدَّت الحال ، امر السلطان ان يُعطى لجميع اهلِ دِهلي نفقة ستة اشهر . فكانت القضاة والكتاب والامراء يطوفون بالازقّة والحارات ويكتبون الناس ؛ ويعطون لكل احـد نفقة ستة اشهر بحساب رطل

ونصف من ارطال المغرب[١] في اليوم لكل واحد. وكنت في تلك المدة، اطعم الناس من الطعام الذي اصنعه بقبرة السلطان قطب الدين . فكان الناس ينتعشون بذلك، والله تعالى ينفع بالقصد فيه.

وبعد ذلك يذكر ابن بطوطة حوادث تتعلّق به خاصة : مثل وفوده على السلطان، وزيارته لدار ام السلطان، وذكر فضائلها، والمناحة التي حصلت لابنة ابن بطوطة المتوفّاة وهي دون السنة من العمر، واحسان السلطان اليه وتعيينه اياه قاضياً في مدينة دِهلي، الى غير ذلك مما يطول شرحه

وهناك دعا الرحّالةَ داعي التزهُّد، فوزّع امواله على الفقراء، وانفرد في احدى الزوايا. فارسل السلطان في طلبه

ذكر بعث السلطان عني، وابايتي عن الرجوع الى الخدمة، واجتهادي في العبادة

ولما بلغ السلطان خبر خروجي عن الدنيا، استدعاني وهو يومئذٍ بسيوستان. فدخلت عليه في زيّ الفقراء، فكلمني احسن كلام، والطفه. واراد مني الرجوع الى الخدمة . فأبيت، وطلبت منه الاذن في السفر الى الحجاز. فأذن لي فيه . وانصرفت عنه، ونزلت بزاوية تُعرف بالنسبة الى الملك بَشير، وذلك في اواخر جمادى الثانية سنة اثنتين واربعين[٢] . فاعتكفت بها شهر رجب، وعشراً من شعبان . وانتهيت الى مواصلة خمسة ايام[٣]، وافطرت بعدها على قليل ارز دون إدام. وكنت اقرأ القرآن كل يوم، واتهجد بما شاء الله . وكنت اذا اكلت الطعام آذاني، فاذا طرحته وجدت الراحة. واقمت كذلك اربعين يوماً.

ثم طلبه السلطان ثانية ليرسله في رحلةٍ الى الصين

---

١) اي ما يقارب الكيلوغرام ٢) كانون الاول ١٣٤١

٣) اي مواصلة الصوم

الفصل الرابع عشر

على طريق الصين

ترك رحالتنا دهلي ، وقصده بلاد الصين ، حاملاً هدية لملكها من السلطان محمد شاه ، فمرّ بمدينة بيانة ، فمدينة كول . وفي الطريق قاتل بعض كفار الهنود في نواحي مدينة الجلالي . ثم وقع في الأسر

ذكر محنتي بالاسر ، وخلاصي منه ؛ وخلاصي من شدة بعده على يد وليّ من اولياء الله تعالى

وفي بعض تلك الايام ، ركبت في جماعة من اصحابي ، ودخلنا بستاناً نقيل فيه ، وذلك فصل القيظ . فسمعنا الصياح ، فركبنا ، ولحقنا كفاراً اغاروا على قرية من قرى الجلالي ، فاتبعناهم . فتفرّقوا وتفرّق اصحابنا في طلبهم . وانفردت في خمسة من اصحابي ، فخرج علينا جملة من الفرسان والرجال من غيضة هنالك ، ففررنا منهم لكثرتهم . واتبعني نحو عشرة منهم ، ثم انقطعوا عني الا ثلاثة منهم ، ولا طريق بين يدي ، وتلك الارض كثيرة الحجارة . فنشبت يد فرسي بين الحجارة ، فنزلت عنه ، واقتلعت يده ، وعدت الى ركوبه . والعادة بالهند ان يكون مع الانسان سيفان : احدهما معلّق بالسرج ويسمّى الركابي ، والآخر في التركش . فسقط سيفي الركابي من غمده ، وكانت حليته ذهباً ، فنزلت فاخذته وتقلّدته ، وركبت ، وهم في اثري . ثم وصلت الى خندق عظيم ، فنزلت ودخلت في جوفه ، فكان آخر عهدي بهم .

ثم خرجت الى وادٍ في وسط شعراء[1] ملتفّة ، في وسطها طريق . فمشيت عليه ، ولا اعرف منتهاه . فبينا انا في ذلك ، خرج عليَّ نحو اربعين رجلًا من الكفّار ، بايديهم القسي ، فاحدقوا بي . وخفت ان يرموني رمية رجل واحد ان فررت منهم ، وكنت غير متدرّع ، فالقيت بنفسي الى الارض واستأسرت . وهم لا يقتلون من فعل ذلك . فاخذوني ، وسلبوني جميع ما عليَّ ، غير جبة وقميص وسروال . ودخلوا بي الى تلك الغابة ، فانتهوا بي الى موضع جلوسهم منها ، على حوض ماء بين تلك الاشجار ، واتوني بخبز ماش ، وهو الجُلْبَان ، فاكلت منه ، وشربت من الماء .

وكان معهم مسلمان كلماني بالفارسيّة ، وسألاني عن شأني . فاخبرتهما ببعضه ، وكتمتهما اني من جهة السلطان . فقالا لي : « لا بد ان يقتلك هؤلاء ، او غيرهم . ولكن هذا مقدّمهم . » واشارا الى رجل منهم . فكلّمته بترجمة المسلمَين ، وتلطفت له . فوكل بي ثلاثة منهم : احدهم شيخ ، ومعه ابنه ، والآخر اسود خبيث . وكلمني اولئك الثلاثة ، ففهمت منهم انهم أُمروا بقتلي . فاحتملوني عشيّ النهار الى كهف . وسلّط الله على الاسود منهم حمّى مرعدة ، فوضع رجليه عليَّ ، ونام الشيخ وابنه . فلما اصبح ، تكلّموا فيما بينهم ، واشاروا اليَّ بالنزول معهم الى الحوض . وفهمت انهم يريدون قتلي . فكلمت الشيخ ، وتلطفت اليه ، فرقّ لي . وقطعت كمّي قميصي ، واعطيته اياهما ، لكي لا يأخذه اصحابه فيَّ ، ان فررت .

ولما كان عند الظهر ، سمعنا كلاماً عند الحوض ، فظنوا انهم اصحابهم . فاشاروا اليَّ بالنزول معهم ، فنزلنا ووجدنا قوماً آخرين . فاشاروا عليهم

1) شعراء : غابة صغيرة

ان يذهبوا في صحبتهم ، فابوا . وجلس ثلاثتهم امــامي ، وانا مُواجِه لهم . ووضعوا حبل قنَب كان معهم بالارض . وانا انظر اليهم واقول في نفسي : « بهذا الحبل يربطونني عند القتل . » واقمت كذلك ساعة . ثم جاء ثلاثة من اصحابهم الذين اخذوني ، فتكلّموا معهم ، وفهمت انهم قالوا لهم : « لايّ شيء ما قتلتموه ؟ » فاشار الشيخ الى الاسود كانه اعتذر بمرضه . وكان احد هؤلاء الثلاثة شاباً حسن الوجه ، فقال لي : « أتُريد ان اسرّحك ؟ » فقلت : « نعم » فقال : « اذهب ! » فاخذت الجبّة ، التي كانت عليَّ ، فاعطيته اياها . واعطاني مُنيَّرة[1] بالية عنده . واراني الطريق ، فذهبت . وخفت ان يبدو لهم فيدركوني ، فدخلت غيضــة قصب ، واختفيت فيها الى ان غابت الشمس . ثم خرجت وسلكت الطريق التي ارانيها الشاب ، فأفضت بي الى ماء فشربت منه . وسرت الى ثلث الليل ، فوصلت الى جبل فنمت تحته . فلما اصبحت ، سلكت الطريق ، فوصلت ضحىً الى جبل من الصخر عالٍ ، فيه شجر ام غيلان والسّدر . فكنت اجني النبق فآكله . حتى أثّر الشوك في ذراعي اثاراً هي باقيــة به حتى الآن .

ثم نزلت من ذلك الجبل الى ارض مزدرعة قطناً ، وبها اشجار الخِرْوَع . وهنالك باين — والباين عندهم بئر متسعة جداً ، مطوية بالحجارة ، لهــا درج يُنزل عليها الى ورد الماء ، وبعضها يكون في وسطه وجوانبه القباب من الحجر والسقايف والمجالس ، ويتفاخر ملوك البلاد وامراؤها بعمارتها في الطرقات التي لا ماء بها — ولمــا وصلت الى الباين ، شربت منه .

---

١) منيَّرة : رداء ازرق

ووجدت عليه شيئاً من عساليج الخَرْدَل ، قد سقطت ممن غسلها ، فاكلت منها ، وادَّخرت باقيها . ونمت تحت شجرة خروع . فبينما انا كذلك اذ ورد الباين نحو اربعين فــارساً مدَّرعين ، فدخل بعضهم الى المزرعة ، ثم ذهبوا . وطمس الله ابصارهم دوني . ثم جاء بعدهم نحو خمسين في السلاح ، ونزلوا الى الباين . واتى احدهم الى شجرة ازاء الشجرة التي كنت تحتها ، فلم يشعر بي . ودخلت اذ ذاك في مزرعة القطن ، واقمت بها بقية نهاري . واقاموا على الباين يغسلون ثيابهم ، ويلعبون . فلما كان الليل ، هــدأت اصواتهم . فعلمت انهم قد مرّوا او ناموا . فخرجت حينئذٍ واتبعت اثر الخيل ، والليل مقمر ، وسرت حتى انتهيت الى باين آخر ، عليه قبــة ، فنزلت اليه ، وشربت من مائه ، واكلت من عساليج الخردل التي كانت عندي . ودخلت القبة ، فوجدتها مملوءة بالعشب ، مما يجمعه الطير ، فنمت بها . وكنت احسّ حركة حيوان ، في ذلك العشب ، اظنه حية ، فلا ابالي لما بي من الجهد .

فلما اصبحت ، سلكت طريقاً واسعة تفضي الى قرية خربة . وسلكت سواهــا ، فكانت كمثلها . واقمت كذلك اياماً . وفي بعضها وصلت الى اشجار ملتفَّة ، بينها حوض ماء ، وداخلها شبه بيت ، وعلى جوانب الحوض نبات الارض كالنجيل [1] وغيره . فاردت ان اقعد هنالك ، حتى يبعث الله من يوصلني الى العمارة . ثم اني وجدت يسير قوَّة ، فنهضت عــلى طريق وجدت بهــا اثر البقر ، ووجدت ثوراً عليه بردعة ومنجل . فاذا تلك

---

١) النجيل : ضرب من الاعشاب ينبت في الاقاليم الحارّة ، ويكون متقابل الورق كثّه ، قوي الكؤوس ، يزهر ازهارًا صفراء وحمراء . ومنه نوع ينبت في بلادنا فيؤكل ورقه ، وهو معروف بالبقلة او الفرفحين .

الطريق تفضي الى قرى الكفــار . فاتبعت طريقاً اخرى فافضت بي الى قرية خربة ، ورأيت بهــا اسودَين عريانَين فخفتهما ، واقمت تحت اشجار هنالك . فلما كان الليل دخلت القرية ، ووجدت دارًا ، في بيت من بيوتها شبه خــابية كبيرة يصنعونها لاختزان الزرع ، وفي اسفلها نقب يسع منه الرجل . فدخلتها ، ووجدت داخلها مفروشاً بالتبن ، وفيه حجر جعلت رأسي عليه ونمت . وكان فوقها طائر يرفرف بجناحيه اكثر الليل ؛ واظنه كان يخاف ، فاجتمعنا خائفَين .

واقمت على تلك الحال سبعة ايام ، من يوم أُسرت ، وهو يوم السبت . وفي السابع منها ، وصلت الى قرية للكفار عامرة ، وفيها حوض مــاء ومنابت خضر . فسألتهم الطعام فأبوا ان يعطوني ، فوجدت حول بئر بها ، اوراق فجل ، فاكلته . وجئت القرية فوجدت جماعة كفار لهم طليعة ، فدعاني طليعتهم فلم أُجبــه ، وقعدت الى الارض . فاتى احدهم بسيف مسلول ورفعه ليضربني به ، فلم التفت اليه لعظيم ما بي من الجهد . ففتشني فلم يجد عندي شيئاً ، فاخذ القميص الذي كنت اعطيت كمّيه للشيخ الموكل بي .

ولما كان في اليوم الثامن ، اشتد بي العطش ، وعدمت الماء . ووصلت الى قرية خراب فلم اجد بها حوضاً . وعادتهم ، بتلك القرى ، ان يصنعوا احواضاً يجتمع بها ماء المطر ، فيشربون منه جميع السنة . فاتبعت طريقاً ، فافضت بي الى بئر غير مطويّة ، عليها حبل مصنوع من نبــات الارض ، وليس فيه آنية يُستقى بها . فربطت خرقة كانت على رأسي في الحبل ، وامتصصت ما تعلّق بها من الماء ، فلم يروِني . فربطت خفي واستقيت به ، فلم يروِني . فاستقيت به ثانياً ، فانقطع الحبل ، ووقع الخفّ في

البئر . فربطت الخفَّ الآخر ، وشربت حتى رويت . ثم قطعته فربطت اعلاه عـلى رجلي بحبل البئر وبخرق وجدتها هنالك . فبينا انا اربطها وافكر في حالي ، اذ لاح لي شخص ؛ فنظرت اليـه فاذا رجل اسود اللون ، بيده ابريق وعكّاز ، وعلى كاهـله جراب . فقال لي : « سلام عليك ! » فقلت له : « عليك السلام ، ورحمـة الله وبركاته ! » فقال لي بالفارسية : « جيكس » معناه : « من انت ؟ » فقلت له : « انا تائه ! » فقال لي : « وانا كذلك ». ثم ربط ابريقه بحبل كان معه ، واستقى ماءً. فاردت ان اشرب ، فقال لي: « اصبر ». ثم فتح جرابه ، فاخرج منه غرفة حمص اسود مقلوّ مع قليل ارز ، فاكلت منه ، وشربت . وتوضّأ وصلّى ركعتين ، وتوضّأت انا وصلّيت . وسألني عن اسمي فقلت : « محمد » . وسألته عن اسمه فقال لي : « القلب الفارح ». فتفاءلت بذلك ، وسررت به .

ثم قال لي: « بسم الله ، ترافقني؟» فقلت: « نعم ». فمشيت معه قليلاً. ثم وجدت فتورًا في اعضائي ، ولم استطع النهوض ، فقعدت. فقال : « ما شأنك ؟ » فقلت له : « كنت قادرًا على المشي قبل ان القاك ، فلما لقيتك عجزت ». فقال : « سبحان الله ! اركب فوق عنقي ». فقلت له : « انك ضعيف ! ولا تستطيع ذلك ». فقال: « يقويني الله ! لا بدَّ لك من ذلك». فركبت على عنقه ، وقال: « اكثر من قراءة: «حسبنا الله ونعم الوكيل!» فاكثرت من ذلك ، وغلبتني عيني . فلم أفق الا لسقوطي على الارض . فاستيقظت ، ولم ارَ للرجل اثرًا ، واذا انا في قرية عامرة. فدخلتها فوجدتها لرعية الهنود ، وحاكمها من المسلمين.

ثم يلتحق باصحابه ، ويتابع السفر ، فيمر بنهر آب سياه ، فمدينة قِنَوْج ، فمدينة

موزي ، فمدينة مَرْه ، فملابور ، فكالبور ، فبَرْوَن « والسباع بها كثيرة » ، وفيها السحرة المعروفون « بالجوكية » . ثم يسير الى چنديري ، فظهار ، فأُجَيْن ، فدولة آباد ، فقلعة الدُوَيْقِير « وبها فيران ضخام اعظم من القطوط ، والقطوط تهرب منها » ، فنَذَرْبار ، فصاغَر

كِنْبايَة

ومن صاغَر يسافر الى كِنْبايَة ، فكاوي ، فقَنْدَهار . ومنها يركب البحر في مركب اسمه «الجاكر» فيصل الى جزيرة بَيْرَم ، فقُوقَه ، فسندابور ، فهِنَوْر ، بلاد المليبار

وبعد ثلاثة ايام وصلنا الى بلاد المليبار . وهي بلاد الفلفل . وطولها مسيرة شهرين ، على ساحل البحر ، من سندابور الى كولَم .

ذكر الفلفل

وشجرات الفلفل شبيهة بدوالي العنب ، وهم يغرسونها ازاء النارجيل فتصعد فيها كصعود الدوالي . الا انها ليس لها عسلوج ، وهو الغزل ، كما للدوالي . واوراق شجره تشبه اوراق الخِيل[1] ، وبعضها يشبه اوراق العلّيق . ويثمر عناقيد صغارًا حبها كحبّ ابي قنينة[2] ، اذا كانت خضرًا . واذا كان اوان الخريف ، قطفوه وفرشوه على الحصر في الشمس كما يصنَع بالعنب ، عند تزبيبه . ولا يزالون يقلبونه حتى يستحكم يبسه ويسود .

واول مدينة دخلها من بلاد مليبار ، مدينة ابي سرور ، فمدينة فاكَنور ، وذكر

١) الخِيلُ : ويُعرف ايضًا بالسذاب : ضرب من الاعشاب ينبت في آسية واوربة الجنوبية ، متقابل الورق ، مجتمع الزهر ، ويكون ثمره في جوزة فيها خمسة مقاطع .

٢) اي العنب

سلطانها ، فمدينة منجرور ، وذكر سلطانها ايضاً ، فهيلي ، فجُرفَتّن ، فبُدفَتّن ، ففندرينا ، فقالِقوط

قالِقوط

وهي احدى البنادر العظام ببلاد المليبار ، يقصدها اهل الصين ، والجاوة ، وسيلان ، والمهل ، واهل اليمن ، وفارس . ويجتمع بها تجار الآفاق ، ومرساها من اعظم مراسي الدنيا .

وذكر سلطانها الكافر . وبعد ان اقام فيها ثلاثة اشهر ، تركها قاصداً الصين . فوصل الى مدينة كَوْلَم ، وهي احسن بلاد المليبار ، وشاهد شجر القرفة والبقّم « وهي حطبهم هنالك » يشعلونها لطبخ الطعام .

ثم سافر من كَوْلَمَ الى هِنَور حيث اقام ثلاثة اشهر ، واشترك في غزوة ضد كفّار سندابور ، ووصل الى مدينة شاليات ، فاقام بها طويلاً ، وعاد الى قالِقوط . ومن هناك سافر الى جزائر ذيبة المهل .[1]

جزائر ذِيبة المَهْل

وهذه الجزائر احدى عجائب الدنيا . وهي نحو الفي جزيرة . ويكون منها مائة ، فما دونها ، مجتمعات مستديرة كالحلقة ، لها مدخل كالباب لا تدخل المراكب الّا منه . واذا وصل المركب الى احداها ، فلا بد له من دليل من اهلها ، يسير به الى سائر الجزائر . وهي من التقارب بحيث تظهر رؤوس النخل التي باحداها ، عند الخروج من الاخرى . فان اخطأ المركب سَمْتَها ، لم يمكنه دخولها ، وحملته الريح الى المَعبَر[2] او سيلان .

ثم يذكر اهلها وعاداتهم ؛ واشجارها ، واكثرها النارجيل ، واعمال عفاريتها . ويذكر سلطاتها . وتنقّله في مختلف جزرها ، ثم زواجه في هذه الجزر

١) ذيبة : تصحيف لفظة « دوِيبَة » السنسكريتية ، ومعناها : « جزيرة » — وهذه الجزائر تُعرف اليوم بجزائر مالْديف .

٢) المَعبَر : هي البلاد المعروفة اليوم « بكوروماندل »

وتوليه القضاء . وبعد ان زار منها جزيرة المَهَل ، وجزيرة ملوك ، سافر في ٢٦ آب ١٣٤٤

سيلان – سرنديب

فسرنا تسعة ايام ، وفي التاسع منها خرجنا الى جزيرة سيلان . ورأينا جبل سرنديب فيها ذاهباً في السماء كانه عمود دخان . . . ولما صعدناه كنا نرى السحاب اسفل منا ، قد حال بيننا وبين رؤية اسفله . وفيه كثير من الاشجار التي لا يسقط لها ورق ، والازاهير الملوّنة ، والورد الاحمر على قدر الكف . وفي الجبل طريقان الى القدم[1] : احدهما يُعرف «بطريق بابا» ، والآخر «بطريق ماما» يعنون آدم وحواء ، عليهما السلام . فاما «طريق ماما» فطريق سهل ، عليه يرجع الزوار اذا رجعوا ؛ ومَن مضى عليه ، فهو عندهم كمن لم يَزُر . واما «طريق بابا» فصعب وعر المرتقى .

ذكر القدم

واثر القدم الكريمة ، قدم ابينا آدم (صلعم) في صخرة سوداء ، مرتفعة ، بموضع فسيح . وقد غاصت القدم الكريمة في الصخرة ، حتى عاد موضعها منخفضاً . وطولها احد عشر شبراً .

وذكر سلطان سيلان . ثم سافر الى مدينة مَنار مَنْدَلي ، فكُنكَار

ذكر سلطانها

وهو يُعرف بالكُنار . وعنده الفيل الابيض . ولم ارَ في الدنيا فيلاً

---

١) القَدَم : اي قدم آدم ، لانهم يزعمون ان آدم داس في ذاك الجبل ، فاثرت قدمه هنالك .

ابيض سواه ، يركبه في الاعياد ، ويجعل على جبهته احجار الياقوت العظيمة .

ذكر الياقوت

والياقوت العجيب ، البَهرَمان ، انما يكون بهذه البلدة . فمنه ما يُخرج من الخور ، وهو عزيز عندهم . ومنه ما يُحفر عنه . وجزيرة سيلان يوجد الياقوت في جميع مواضعها . وهي متملّكة فيشتري الانسان القطعة منها ويحفر عن الياقوت ، فيجد احجارًا بيضاً مشعّبة . وهي التي يتكوّن الياقوت في اجوافها . فيعطيها الحكّاكين فيحكّونها حتى تتفلّق عن احجار الياقوت . فمنه الاحمر ، ومنه الاصفر ، ومنه الازرق ويسمونه « النَيلَم ».

ذكر القرود

والقرود بتلك الجبال كثيرة جداً . وهي سود الالوان ، لها اذناب طوال . ولذكورها لحى كما هي للآدميين . واخبرني الشيخ عثمان وولده ان هذه القرود لها مقدَّم تتبعه كانه سلطان ، يشدُّ على رأسه عصابة من اوراق الاشجار ، ويتوكأ على عصاً . ويكون عن يمينه ويساره اربعة من القرود ، لها عصي بايديها . وانه اذا جلس القرد المقدّم ، تقف القرود الاربعة على رأسه ، وتأتي انثاه واولاده فتقعد بين يديه ، كل يوم ، وتأتي القرود فتقعد على بعد منه . ثم يكلمها احد القرود الاربعة . فتنصرف القرود كلها . ثم يأتي كل قرد منها بموزة او ليمونة او شبه ذلك . فيأكل القرد المقدّم ، واولاده ، والقرود الاربعة .

ذكر العلق الطيار

وبهذا الموضع رأينا العَلَق الطيـار ، ويسمّونه « الزُلو » . ويكون بالاشجار والحشائش التي تقرب من الماء . فاذا قرب الانسان منه ، وثب عليه . فحيثما وقع من جسده ، خرج منه الدم الكثير . والناس يستعدّون له الليمون يعصرون عليه ، فيسقط عنهم ، ويجرّدون الموضع الذي يقع عليه بسكين خشب معدّ لذلك . ويُذكر ان بعض الزوّار مرّ بذلـك الموضع ، فتعلّقت بـه العلق . فاظهر الجَلَد ، ولم يعصر عليها الليمون ، فنزف دمه ومات .

بلاد المَعْبر

ورحل بعد ذلـك الى مدينة كَلَنْبُو ، فبطالة ، وسافر منها الى بلاد المعبر . فاصابتهم عاصفة قبل النزول « ورأوا الموت عياناً » ، ثم خلصوا . ووفد ابن بطوطة على سلطان المعبر ، غياث الدين ، فوصفه ، ووصف انتصاره على الكفار . ومن معسكر هذا السلطان سار الرحالة الى العاصمة ، مدينة مُتْرَة ، فرّ بفتّن الى ان وصل مُتْرَة ، وكان بها وبأ شديد فرجع الى بلاد المليبار ، وجزائر ذيبة المَهْل . فسلبه الكفار بين هِنَوْر ، وفاكَنور ، قبل ان يصل الى جزر ذيبة المهل

ذكر سلب الكفار لنا

ولمـا وصلنا الى الجزيرة الصغرى ، بين هِنَور وفاكنور ، خرج علينا الكفار في اثني عشر مركباً حربية ، وقاتلونا قتالاً شديـداً ، وتغلبوا علينا . فاخذوا جميع ما عندي مما كنت ادّخره للشدائد ، واخذوا الجواهر واليواقيت التي اعطانيها ملك سيلان . واخـذوا ثيابي والزوادات التي كانت عندي ، مما اعطانيه الصالحون والاولياء . ولم يـتركوا لي ساترا

خلا السراويل. واخذوا ما كان لجميع الناس. وانزلونا بالساحل.

فرجع الى قالِقوط، ومنها سار الى جزائر ذيبة المَهَل

بنجالة

ثم سافر في البحر ٤٣ يوماً حتى وصل الى بلاد بنجالة (بنغال) فذكر الرخص العظيم فيها، وفضل سلطانها. وزار مدينة سُدْكاوان، فجبال كامَرُو «وبينها وبين سُدْكاوان مسيرة شهر، وهي جبال متسعة متصلة بالصين. وتتصل ايضاً ببلاد التُبت، حيث غزلان المسك». وبعد ذلك سافر الى مدينة حَبَنْق «ويشقها النهر الازرق»، فمدينة سُنُرْكاوان

جزر الهند – البَرَهْنكار

ولما وصلناها (سُنُرْكاوان) وجدنا بها جنكاً[1] يريد السفر الى بلاد الجاوة، وبينهما اربعون يوماً. فركبنا فيه ووصلنا بعد خمسة عشر يوماً الى بلاد البَرَهْنكار، الذين افواههم كافواه الكلاب. وهذه الطائفة من الهمج لا يرجعون الى دين الهنود ولا الى غيره. وسكناهم في بيوت قصب، مسقَّفة بحشيش الارض على شاطئ البحر. وعندهم من اشجار الموز والفوفل والتنبول كثير. ورجالهم على مثل صورنا، الا ان افواههم كافواه الكلاب. واما نساؤهم فلسنَ كذلك، ولهنَّ جمال بارع... والفيلة كثيرة عندهم.

ووصل بعدها الى جاوى، وذكر سلطانها واحسانه

ذكر اللُبان

وشجرة اللبان صغيرة تكون بقدر قامة الانسان الى ما دون ذلك.

---

١) الجنك: المركب الكبير

واغصانها كاغصان الخرشف ، واوراقها صغار رقاق ، وربما سقطت فبقيت الشجرة منها دون ورقة . واللبان صمغية تكون في اغصانها .

ذكر الكافور

واما شجر الكافور فهي قصب ، كقصب بلادنا . الا ان الانابيب منها اطول واغلظ . ويكون الكافور في داخل الانابيب . فاذا كسرت القصبة وُجد في داخل الانبوب مثل شكله من الكافور . والسر العجيب فيه ان لا يتكوَّن في تلك القصب ، حتى يُذبح عند اصولها شيء من الحيوان ، والا لم يتكوَّن شيء منه .

ذكر العود الهندي

واما العود الهندي فشجره يُشبه شجر البلُّوط ، الا ان قشره رقيق . واوراقه كاوراق البلوط سواء . ولا ثمر له . وشجرته لا تعظم كل العظم . وعروقه طويلة ممتدَّة ، وفيها الرائحة العطرة . واما عيدان شجرته وورقها فلا عطرية فيها .

ذكر القرنفل

واما اشجار القرنفل فهي عادية ضخمة . وليست بمتملّكة لكثرتها . والمجلوب الى بلادنا منها هو العيدان . والذي يسميه اهل بلادنا نوّار القرنفل هو الذي يسقط من زهره ، وهو شبيه بزهر النارنج . وثمر القرنفل هو جوز بُوا المعروفة في بلادنا بجوزة الطيب .

ثم سافر ٣٤ يوماً فوصل الى « البحر الكاهل وهو الراكد » (الپاسيفيك) فحلَّ في مرسى كَيلوكَري ووصف ملكتها . ومنها سافر ١٧ يوماً الى بلاد الصين .

الفصل الخامس عشر

بلاد الصين

اقليم الصين متسع، كثير الخيرات، والفواكه، والزرع، والذهب، والفضة، لا يضاهيه في ذلك اقليم من اقاليم الارض. ويخترقه النهر المعروف «بآب حياة»، معنى ذلك «ماء الحياة»، ويسمى ايضاً نهر السَبَر[١]، كاسم النهر الذي بالهند، ومنبعه من جبال، بقرب مدينة خان بالق[٢] تسمّى «كُوهِ بوزنه» معناه «جبل القرود». ويمر في وسط الصين مسيرة ستة اشهر الى ان ينتهي الى صين الصين.[٣] وتكتنفه القرى والمزارع والبساتين والاسواق؛ وعليه النواعير الكثيرة. وببلاد الصين السكّر الكثير، والاعناب، والإجاص، والبطيخ العجيب. وكل ما ببلادنا من الفواكه فان بها ما هو مثله واحسن منه. والقمح بها كثير جدًا ولم ارَ قمحاً اطيب منه. وكذلك العدس والحمص.

ذكر بعض من احوال اهل الصين

واهل الصين كفار يعبدون الاصنام، ويحرقون موتاهم كما تفعل الهنود. وملك الصين تتري من ذرية تنكيزخان[٤]. وكفار الصين

---

١) والصواب: نهر السَرو وهو النهر الاصفر
٢) خان بالِق: هي مدينة باكين
٣) صين الصين: هي كانتون الحالية
٤) تنكيزخان: هو جنكيزخان

يأكلون لحوم الخنازير والكلاب ، ويبيعونها في اسواقهم . وهم اهل رفاهية وسعة عيش ، الا انهم لا يحتفلون في مطعم ولا ملبس . . . انما يحتفلون في اواني الذهب والفضة . ولكل واحد منهم عكاز يعتمد عليه في المشي ، ويقولون : « هو الرِجل الثالثة ! » والحرير عندهم كثير جدًا ، لان الدود تتعلق بالثمار ، وتأكل منها ، فلا تحتاج الى كثير مؤنة . ولذلك كثر ، وهو لباس الفقراء والمساكين . . . وعادتهم ان يسبك التاجر ما يكون عنده من الذهب والفضة قطعاً ، تكون القطعة منها من قنطار فما فوقه وما دونه ، ويجعل ذلك على باب داره .

ذكر دراهم الكاغد التي بها يبيعون ويشترون

واهل الصين لا يتبايعون بدينار ولا درهم ، وجميع ما يتحصّل ببلادهم من ذلك يسبكونه قطعاً كما ذكرناه . وانما بيعهم وشراؤهم بقطع كاغد ، كل قطعة منها قدر الكف ، مطبوع بطابع السلطان وتُسمّى الخمس والعشرون قطعة منها « بالِشت » وهو بمعنى الدينار عندنا . واذا تمزّقت تلك الكواغد في يد انسان ، حملها الى دارٍ ، كدار السكّة عندنا ، فاخذ عوضها جُددًا ، ورفع تلك . ولا يُعطي على ذلك اجرة ولا سواها ، لان الذين يتولّون عملها ، لهم الارزاق الجارية من قبل السلطان ، وقد وُكِل بتلك الدار امير من كبار الامراء .

ذكر ما خُصّوا به من احكام الصناعات

واهل الصين اعظم الأُمم إحكاماً للصناعات ، واشدُّهم اتقاناً فيها . وذلك مشهور من حالهم قد وصفه الناس فاطنبوا فيه . واما التصوير فلا

يجاريهم احد في إحكامه، من الروم، ولا من سواهم. فان لهم فيه اقتداراً عظيماً. ومن عجيب ما شاهدت لهم من ذلك أني ما دخلت قط مدينة من مدنهم ثم عدت اليها، إلا ورأيت صورتي وصور اصحابي منقوشة في الحيطـان والكواغد، موضوعة في الاسواق. ولقد دخلت الى مدينة السلطان[1] فمررت على سوق النقاشين، ووصلت الى قصر السلطـان مع اصحابي، ونحن على زيّ العراقيين. فلما عدت من القصر عشياً، مررت بالسوق المذكورة، فرأيت صورتي وصور اصحابي منقوشة في كاغد، قد الصقوه بالحائط. فجعل كل واحد منـا ينظر الى صورة صاحبه لا تخطئ شيئاً من شبهه. وذُكر لي ان السلطان امرهم بذلك، وانهم اتوا الى القصر، ونحن فيه. فجعلوا ينظرون الينا، ويصوّرون صورنا، ونحن لم نشعر بذلك. وتلك عادة لهم في تصوير كل من يمرّ بهم. وتنتهي حالهم في ذلك الى ان الغريب، اذا فعل ما يوجب فراره عنهم، بعثوا صورته الى البلاد. وبُحث عنه، فحيثما وُجد شبه تلك الصورة، أُخذ.

ويقول ابن بطوطة انه جال في الصين فزار مدينة الزيتون (تشيـون-تشيو-فو)، وصين الصين (كانتون) وهيكلها، ثم سافر في النهر الى مدينة خان بالق (باكين) بعد ان مرّ بقَنْجَنْفُو، فبَيْوَم قُطْلُو، فالخَنْسا (هانغ - تشيو-فو) وهي تقدم ست مدن كبيرة، وزار فيها الامير قُرْطَي «وهو امير امراء الصين» وشاهد عنده عمل شَعْوَذَة فرواه :

حكاية المُشَعْوِذ

وفي تلك الليلة حضر احد المُشَعْوِذَة، وهو من عبيد القان[2]، فقال له الامير : «ارنا من عجائبك !» فاخذ كُرة خشب لها ثقب فيها سيور

---

١) اي خان بالق (باكين) ٢) القان : لقب ملك الصين والخطا

طوال ، فرمى بها الى الهواء ، فارتفعت حتى غابت عن الابصار . ونحن في وسط المِشور ، ايام الحرّ الشديد . فلما لم يبقَ من السير في يده الا يسير ، امر متعلّماً له ، فتعلّق به ، وصعد في الهواء الى ان غاب عن ابصارنا . فدعاه فلم يجبه ثلاثاً . فاخذ سكيناً بيده كالمغتاظ وتعلّق بالسير الى ان غاب ايضاً . ثم رمى بيد الصبي الارض ، ثم رمى برجله ، ثم بيده الاخرى ، ثم برجله الاخرى ، ثم بجسده ، ثم برأسه . ثم هبط وهو ينفخ ، وثيابه ملطّخة بالدم . فقبل الارض بين يدي الامير ، وكلّمه بالصيني . وامر له الامير بشيء . ثم انه اخذ اعضاء الصبي ، فألصق بعضها ببعض ، وركضه برجله ، فقام سوياً . فعجبت منه ، واصابني خفقان القلب ، فسقوني ما اذهب عني ما وجدت . وكان القاضي ، فخر الدين ، الى جانبي ، فقال لي : « والله ، ما كان من صعود ، ولا نزول ، ولا قطع عضو . وانما ذلك شَعْوَذة . »

ثم دخل الرحالة بلاد الخطا (الصين الشمالية) فوصل الى مدينـة خان بالِق (باكين) « وهي حضرة القان ، وهو سلطانهم الاعظم الذي مملكته بلاد الصين والخطا » ثم وصفه ووصف قصره « واكثر عمارته بالخشب المنقوش »

الفصل السادس عشر

من باكين الى فاس

ورجع المسافر على طريقه. ولما قارب مع رفقائه بلاد طَوَالِـي، تغيَّرت الريح، فأقاموا ٤٢ يوماً لا يعرفون في ايّ البحار هم

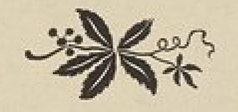
ذكر الرخّ

ولما كان في اليوم الثالث والاربعين، ظهر لنا، بعد طلوع الفجر، جبل في البحر، بيننا وبينه نحو عشرين ميلاً، والريح تحملنا الى صوبه. فعجب البحرية وقالوا: « لسنا بقرب من البرّ، ولا يُعهد في هـذا البحر جبل، وان اضطرتنا الريح اليه هلكنا ». فلجأ الناس الى التضرُّع والاخلاص، وجدّدوا التوبة. وابتهلنا الى الله بالدعاء، وتوسّلنا بنبيّه (صلعم). ونذر التجار الصدقات الكثيرة، وكَتَبْتُها لهم في زمـام بخطي. وسكنت الريح بعض سكون. ثم رأينا ذلك الجبل، عند طلوع الشمس، قد ارتفع في الهواء، وظهر الضوء فيما بينه وبين البحر. فعجبنا من ذلك. ورأيت البحريّة يبكون، ويودّع بعضهم بعضاً. فقلت: « ما شأنكم؟ » فقالوا: «ان الذي تخيّلناه جبلاً هو الرخّ، وان رآنا اهلكنا». وبيننا اذ ذاك وبينه، اقلّ من عشرة اميال. ثم ان الله تعالى منّ علينا بريح طيّبة صرفتنا عن صوبه، فلم نَرَه ولا عرفنا حقيقة صورته.

وبعد شهرين وصل الى الجاوة، فنزل الى سومطرة وسار منها الى كولم،

فقالِقوط ، ومنها الى ظفار، فسقط، فشيراز ، فالبصرة ، فالحلّة ، فبغداد ، فتدمر، فدمشق « وكانت مدّة مغيبه عنها عشرين سنة كاملة » ، فحمص ، فحماة ، وكان ذلك في اوائل حزيران ١٣٤٨ . فبلغه ان وبأ الطاعون ظهر في غزّة ، فرجع الى دمشق ، ومنها الى الى بيت المقدس ، فدمياط ، فالاسكندرية ، فالقاهرة . ومنها حجّ الى مكة للمرّة الرابعة. وعاد الى المغرب عن طريق مصر ، فوصل الى فاس في ٨ تشرين الثاني ١٣٤٩

وفي فاس ، نزل بلاط السلطان ابي عنان ، وامتدحه كثيرًا ، فاستقبله هذا واكرمه. واقام ابن بطوطة في حاشيته حتى بدأ رحلته الثانية .



تحفة النظار

في غرائب الامصار وعجائب الاسفار

الرحلة الثانية

١٣٥٠ — ١٣٥١

فاس — سبتة — جبل طارق — رُنْدَة — مربلة — سُهَيل — مالَقة — بَلّش — الحَمَّة — غرناطة — الحَمَّة — بلّش — مالقة — حصن ذَكْوان — رُنْدَة — قرية بني رباح — جبل طارق — سبتة — اصيلا — سلا — مراكش — سلا — مكناسة — فاس.

الرحلة الثانية

طنجة – سبتة

ولما حصلت لي شهادة هذا المقام الكريم[١] ، وعمّني فضل احسانه العميم ، قصدت زيارة قبر الوالدة ، فوصلت الى بلدي طنجة ، وزرتها.

وتوجهت الى مدينة سبتة ، فاقمت بها اشهراً ، واصابني بها المرض ثلاثة اشهر . ثم عافاني الله . . .

الاندلس

فركبت البحر من سبتة في شطي لاهل اصيلا ، فوصلت الى بلاد الاندلس . . . وكان ذلك اثر موت طاغية الروم ، أذفونس[٢] ، وحصاره الجبل عشرة اشهر ، وظنه انه يستولي على ما بقي من بلاد الاندلس للمسلمين . فاخذه الله من حيث لم يحتسب ، ومات بالوبأ[٣] الذي كان اشدّ الناس خوفاً منه .

جبل طارق

واول بلد شاهدته من البلاد الاندلسية جبل الفتح[٤] فرأيت عجائب

١) المقام الكريم : مقام السلطان ابي عنان
٢) اذفونس : الفونس الحادي عشر (١٣١٢–١٣٥٠)
٣) الوبأ : اي وبأ الطاعون
٤) جبل الفتح : جبل طارق

ما بنى به مولانا ابو الحسن[١] (رضه) واعدّ فيه، وما زاد فيه مولانا، ايده الله. ووددت ان لو كنت ممن رابط به الى نهاية العمر.

رُنْدَة – مَرْبَلَة

ثم خرجت من جبل الفتح الى مدينة رُنْدَة، وهي من امنع معاقل المسلمين واجملها وضعاً . . . وكان قاضيها ابن عمي الفقيه ابو القاسم محمد ابن يحيى ابن بطُّوطة.

ثم سافرت منها الى مَرْبَلَة، والطريق فيما بينهما صعب شديد الوعورة. ومَرْبلة بُليدة حسنة خصبة.

وبات في حوز سُهَيل ليلةً ثم سار الى

مالَقة

احدى قواعد الاسلام، وبلادها الحسان، جامعة بين مرافق البرّ والبحر، كثيرة الخيرات والفواكه. رأيت العنب يُباع في اسواقها بحساب ثمانية ارطال بدرهم صغير، ورمّانها المُرسي الياقوتي لا نظير له في الدنيا. واما التين واللوز فيجلبان منها، ومن احوازها، الى بلاد المشرق والمغرب. وبمالقة يُصنع الفخّار المذهّب العجيب، ويُجلب منها الى اقاصي البلاد.

بَلَش

ثم سافرت منها الى مدينة بَلَش، وبينهما اربعة وعشرون ميلاً. وهي مدينة حسنة بها مسجد عظيم. وفيها الاعناب والفواكه والتين كمثل ما بمالقة.

---

١) استولى ابو الحسن على جبل طارق سنة ١٣٣٣، بعد ان ظلّ نحو عشرين سنة بيد الاسبانيين. فحصّنه وبنى به سورًا.

ثم مر بالحمة الى

غرناطة

قاعدة بلاد الاندلس ، وعروس مدنها . وخارجها لا نظير له في بلاد الدنيا . وهو مسيرة اربعين ميلا ، يخترقه نهر شنيل المشهور وسواه من الانهار الكثيرة ، والبساتين ، والجنات ، والرياضات ، والقصور ، والكروم محدقة بها من كل جهة . ومن عجيب مواضعها عين الدمع ، وهو جبل فيه الرياضات والبساتين لا مثل له بسواها .

ذكر سلطانها

وكان ملك غرناطة ، في عهد دخولي اليها ، السلطان ابا الحجاج يوسف ابن السلطان ابي الوليد اسماعيل بن فرج بن اسماعيل بن يوسف بن نصر . ولم القه بسبب مرض كان به . وبعثت اليّ والدته الحُرّة الصالحة الفاضلة ، بدنانير ذهب ارتفقت بها . ولقيت بغرناطة جملة من فضلائها .

ثم رجع منها على طريقه الى الحمة ، فبلّش ، فالقة ، فحصن ذكوان ، فرُندة ، فقرية بني رياح ، فجبل الفتح ، فسبتة ، فاصيلا ، فسلا ، فراكش . ومن هناك رافق السلطان الى سلا ، فكناسة ، ففاس .

تحفة النظار

في غرائب الامصار، وعجائب الاسفار

الرحلة الثالثة

اواخر سنة ١٣٥١ - اوائل سنة ١٣٥٤

فاس — سجلماسة — تغازى — تاسرهلا — ايوالاتن — زاغري — كارسخو — مالي — قرى منسى — زاغري — ميمة — تنبكتو — كوكو — تكدا — كاهر — بلاد هكار — بودا — سجلماسة — دار الطمع — فاس.

الرحلة الثالثة

سجلماسة

توجهت برسم السفر الى بلاد السودان، فوصلت الى مدينة سِجلماسة. وهي من احسن المدن، وبها التمر الكثير الطيب. وتشبهها مدينة البصرة في كثرة التمر. لكن تمر سجلماسة اطيب، وصنف «إيرار» منه لا نظير له في البلاد. ونزلت منها عند الفقيه ابي محمد البشري، وهو الذي لقيت اخاه بمدينة فنجنفو من بلاد الصين. فيا شدَّ ما تباعدا! فأكرمني غاية الاكرام. واشتريت بها الجمال وعلفتها اربعة اشهر. ثم سافرت في غرة شهر الله المحرّم سنة ثلاث وخمسين[1].

تغازى – معدن الملح

فوصلنا بعد خمسة وعشرين يوماً الى تَغازَى، وهي قرية لا خير فيها. ومن عجائبها ان بناء بيوتها ومسجدها من حجارة الملح، وسقفها من جلود الجمال. ولا شجر بها. انما هي رمل فيه معدن الملح يُحفر عليه بالارض، فيوجد منه الواح ضخام متراكبة كانها قد نُحتت ووضعت تحت الارض، يحمل الجمل منها لوحين. ولا يسكنها الّا عبيد مَسّوفة الذين يحفرون على الملح. ويتعيشون بما يُجلب اليهم من تمر درْعة وسِجلماسة، ومن لحوم الجمال، ومن أنلي[2] المجلوب من بلاد السودان... وبالملح يتصارف

---

١) الموافق: ١٨ شباط ١٣٥٢
٢) أنلي: نوع من الذرة

السودان ، كما يُتصارف بالذهب والفضة ، يقطعونه قطعاً ويتبايعون به .
وقرية تغازى ، على حقارتها ، يُتعامل فيها بالقناطير المقنطرة من التبر .
واقمنا بها عشرة ايام في جهد ، لان ماءها زُعاق ، وهي اكثر المواضع ذباباً .

ثم يسير عشرة ايام في صحراء تكثر بها الكمأة ، والقمل ايضاً . ثم يصل الى تاسَرهَلا . فيذكر التكشيف .

ذكر التكشيف

والتكشيف اسم لكل رجل من من مَسُّوفة ، يكتريه اهل القافلة ، فيتقدَّم الى ايوالاتن بكُتُب الناس الى اصحابهم بها ، ليكتروا لهم الدور ويخرجوا للقائهم بالماء مسيرة اربع . وربما هلك التكشيف في هذه الصحراء ، فلا يعلم اهل ايوالاتن بالقافلة ، فيهلك اهلها او الكثير منهم .

وتلك الصحراء كثيرة الشياطين . فان كان التكشيف منفرداً لعبت به واستهوته ، حتى يضلّ عن قصده فيهلك ، اذ لا طريق يظهر بها ولا اثر . انما هي رمال تسفيها الريح ، فترى جبالًا من الرمل في مكان ، ثم تراها قد انتقلت الى سواه . والدليل هنالك مَن كثر تردّده ، وكان له قلب ذكيّ . ورأيت من العجائب ان الدليل الذي كان لنا هو اعور العين الواحدة مريض الثانية ، وهو اعرف الناس بالطريق . واكترينا التكشيف في هذه السفرة بمائة مثقال من الذهب . وهو من مسُّوفة . وفي ليلة اليوم السابع رأينا نيران الذين خرجوا للقائنا فاستبشرنا بذلك . وهذه الصحراء منيرة مشرقة ، ينشرح الصدر فيها ، وتطيب النفس . وهي آمنة من السرّاق . والبقر الوحشية بها كثيرة ، يأتي القطيع منها حتى يقرب من الناس ، فيصطادونه بالكلاب والنُّشَّاب . لكن لحمها يولد اكله العطش . ومن

العجائب ان هذه البقر ، اذا قُتلت ، وجد في كروشها الماء . ولقد لقيت اهل مسوفة يعصرون الكروش منها ، ويشربون الماء الذي فيه . والحيات ايضاً بهذه الصحراء كثيرة .

ايوالاتن

ثم وصلنا الى مدينة ايوالاتن ، في غرّة شهر ربيع الاول ، بعد سفر شهرين كاملين من سجلماسة . وهي اول عمالة السودان . ونائب السلطان بها فَربا حُسين ، وفَربا معناه النائب .

ذكر مَسّوفة الساكنين بايوالاتن

وشأن هؤلاء القوم عجيب ، وامرهم غريب . فاما رجالهم فلا غيرة لديهم . ولا ينتسب احدهم الى ابيه بل ينتسب لخاله ، ولا يرث الرجلَ الا ابناء اخته دون بنيه . وذلك شيء ما رأيته في الدنيا الا عند كفّار بلاد المليبار من الهنود . واما هؤلاء فهم مسلمون محافظون على الصلوات ، وتعلُّم الفقه ، وحفظ القرآن .

بين ايوالاتن ومالي

وخرجت في ثلاثة من اصحابي . وتلك الطريق كثيرة الاشجار ، واشجارها عادية ضخمة ، تستظلّ القافلة بظل الشجرة منها . وبعضها لا اغصان لها ولا ورق . ولكن ظلّ جسدها بحيث يستظلّ به الانسان . وبعض تلك الاشجار قد استأسن داخلها ، واستنقع فيه ماء المطر ، فكأنها بئر ويشرب الناس من الماء الذي فيها . ويكون في بعضها النحل والعسل فيشتاره الناس منها . ولقد مررت بشجرة منها فوجدت في داخلها رجلاً حائكاً قد نصب بها مرمّته وهو ينسج ، فعجبت منه .

وفي اشجار هذه الغـابة ، التي بين إيوالاتن ومالي ، ما يُشبه ثمرة الإجّاص والتفّاح والخوخ والمشمش ، وليست بها . وفيها اشجار تثمر شبه الفُقّوص[1] ، فاذا طاب انفلق عن شيء شبه الدقيق ، فيطبخونه ويأكلونه ، ويباع بالاسواق . ويستخرجون من هذه الارض حبّات كالفول ، فيقلونها ويأكلونها . وطعمها كطعم الحمّص المقلوّ . وربّما طحنوها ، وصنعوا منها الاسفنج ، وقلوه بالغَرْتي ، وهو ثمر كالاجاص شديد الحلاوة ، مضرّ بالبيضان ، اذا اكلوه . ويُدقّ عظمه فيُستخرج منه زيت لهم فيه منافع : فمنها انهم يطبخون به ، ويسرجون السرُج ، ويقلون به هذا الاسفنج ، ويدّهنون به ، ويخلطونه بتراب عندهم ويسطّحون به الدور كما تُسطّح بالجير . وهو عندهم كثير متيسّر . ويُحمل من بلد الى بلد في قرع كبـار تسع القرعة منها قدر ما تسعه القُلّة ببلادنا . والقرع ببلاد السودان يعظم . ومنه يصنعون الجِفـان ، يقطعون القرعة نصفَين فيصنعون منها جَفْنتَين ، وينقشونها نقشاً حسناً . واذا سافر احدهم يتبعه عبيده وجواريه يحملون فرشه واوانيه التي يأكل ويشرب فيها ، وهي من القرع .

والمسافر بهذه البـلاد لا يحمل زادًا ، ولا إداماً ، ولا دينارًا ، ولا درهماً . انما يحمل قطع الملح ، وحَلي الزجاج الذي يسمّيه الناس النَظْم ، وبعض السِلَع العطرية ، واكثر ما يعجبهم منها القرنفل والمَصطكى وتاسرغنت ، وهو بخورهم . فاذا وصل قرية جـاء نساء السودان بأنلي ، واللبن ، والدجاج ، ودقيق النبق ، والارزّ ، والفُوني وهو كحبّ الخردل يُصنع منه الـكُسْكُسُو والعصيدة ، ودقيق اللوبياء . فيشتري منهنّ ما احبّ من

---

[1] الفقّوص : صغار الخيار .

ذلك الّا ان الارز يضرّ اكله بالبيضان ، والفوني خير منه .

وبعد عشرة ايام وصل الى قرية زاغري ، فالى « النهر الاعظم ، وهو النيل » (النيجر) « وعليه بلدة كارْسَخو » وهو ينحدر منها الى كابرَة ، فزاغة ، فتُنبكتو ، فكَوْكَوْ ، فولي ، فيوفي ، فبلاد النوبة ، فدُنقلة ، فجنادل . ورأى ابن بطوطة التمساح بالقرب من الساحل « كأنه قارب صغير » .

ثم وصل الى مالّي حضرة ملك السودان، واسمه مَنسى سليمان – ومَنسى معناها السلطان – « وهو ملك بخيل لا يُرجى منه كبير عطاء . » على انه احسن الى ابن بطوطة .

ذكر تذلّل السودان لملكهم ، وتتريبهم له ، وغير ذلك من احوالهم

والسودان اعظم الناس تواضعاً لملكهم ، واشدّهم تذلُّلاً له ، ويحلفون باسمه فيقولون . « مَنسىَ سليمان كي ! » . فاذا دعا باحدهم عند جلوسه بالقبّة ، نزع المدعوّ ثيابه ، ولبس ثياباً خلقة . ونزع عمامتهُ ، وجعل شاشية وسخة . ودخل رافعاً ثيابه وسراويله الى نصف ساقه ، وتقدّم بذلة ومسكنة . وضرب الارض بمرفقيه ضرباً شديداً ، ووقف كالراكع يسمع كلامه . واذا كلّم احدهم السلطان ، فردّ عليه جوابه ، كشف ثيابه عن ظهره ، ورمى بالتراب على رأسهُ وظهره ، كما يفعل المغتسل بالماء . وكنت اعجب منهم كيف لا تعمى اعينهم .

ذكر الاضحوكة في إنشاد الشعراء للسلطان

واذا كان يوم العيد ، واتمّ دُوغا[1] لعبه ، جاء الشعراء – ويُسمّون الجُلا ، واحدهم جالي – وقد دخل كلّ واحد منهم في جوف صورة

١) دوغا : اسم الترجمان

مصنوعة من الريش تُشبه الشِقشاق[1] ، وجُعل لها رأس من الخشب له منقار أحمر كأنه رأس الشِقشاق . ويقفون بين يدي السلطان بتلك الهيئة المضحكة ، فينشدون اشعارهم . وذُكر لي أن شعرهم نوع من الوعظ ، يقولون فيه للسلطان : « ان هذا البَنبي الذي انت عليه ، جلس فوقه من الملوك فُلان ، وكان من حسن افعالـه كذا ، وفلان وكان من افعاله كذا . فافعل انت من الخير ما يُذكر بعدك . » ثم يصعد كبير الشعراء على درج البَنبي ويضع رأسه في حجر السلطان . ثم يصعد الى اعـلى البَنبي فيضع رأسه على كتف السلطان الأيمن ، ثم على كتفه الأيسر ، وهو يتكلم بلسانهم ، ثم ينزل .

ذكر ما استحسنته من افعال السودان وما استقبحته منها

فمن افعالهم الحسنة قلة الظلم . فهم ابعد الناس عنه ، وسلطانهم لا يسامح احـدًا في شيء منه . ومنها شمول الامن في بلادهم ، فلا يخاف المسافر فيها ولا المقيم ، من سارق ولا غاصب . ومنها عدم تعرّضهم لمال من يموت ببلادهم من البيضان ، ولو كان القناطير المقنطرة . انما يتركونه بيد ثقـة من البيضان حتى يأخذه مستحقّه . ومنها مواظبتهم للصلوات والتزامهم لها في الجماعات ، وضربهم اولادهم عليها . . .

ومن مساوئ افعالهم كون الخدم والجواري والبنات الصغار يظهرون للناس عرايا . ومنها جعلهم التراب والرماد على رؤوسهم تأدباً . ومنها مـا ذكرته من الاضحوكة في انشاد الشعراء . ومنها ان كثيراً منهم يأكلون الجيف والكلاب والحمير .

---

١) لعلّه تصحيف الشِقِرّاق : طائر صغير مرقط بخضرة وحُمرة وبياض .

وخرج عن مالي في ٢٢ محرّم ٧٥٤ ، فسار الى خليج كبير يخرج من النيل

حكاية

السودان الذين يأكلون بني آدم

قدمت على السلطان مَنْسى سليمان جماعة من هؤلاء السودان ، الذين يأكلون بني آدم ، معهم امير لهم . وعادتهم ان يجعلوا في آذانهم اقراطاً كباراً ، وتكون فتحة القُرْط منها نصف شبر ، ويلتحفون في ملاحف الحرير . وفي بلادهم يكون معدن الذهب . فاكرمهم السلطان واعطاهم في الضيافة خادماً ، فذبحوها واكلوها ولطخوا وجوههم وايديهم بدمها ، واتوا السلطان شاكرين . وذكر لي عنهم انهم يقولون : « ان اكل الابيض مُضرّ ، لانه لم ينضج » . والاسود هو النضيج بزعمهم .

ومن هناك سافر الى قُرى منسى ، فزاغري ، فيمة ، فتُنْبُكْتو ، « وفيها قبر الشاعر المُفلق ابي اسحق الساحلي الغرناطي المعروف ببلده بالطُوَيْجِن » ومن هناك الى كَوْكَوْ فَرَ ببلاد بَرْدامة . ثم وصل الى تكدّا ، وبخارجها معدن النحاس .

وفيا هو بتكدّا وصله امر السلطان ابي عنان بالرجوع ، فخرج من تكدّا في ١٢ ايلول ١٣٥٣ ، ومرّ بكاهر على طريق توات « وهناك ماء يجري على الحديد ، فاذا غُسل به الثوب الابيض ، اسودّ لونه » . ثم وصل الى

بلاد هكّار

وهم طائفة من البربر ملثّمون ، لا خير عندهم . ولقينا احد كبرائهم ، فحبس القافلة حتى غرموا له اثواباً وسواها . . وسرنا في بلاد هكار شهراً وهي قليلة النبات ، كثيرة الحجارة ، طريقها وعر .

ثم وصل الى بودا ، « من اكبر قرى توات » فالى سجلماسة في اواخر كانون الاول ١٣٥٣ ، ومنها قصد الى فاس

انتهاء الرحلة

فوصلت الى فاس، حضرة مولانا امير المؤمنين، ايده الله . فقبّلت يده الكريمــة ، وتيمنت بمشاهدة وجهه المبارك ، واقت في كنف احسانه بعد طول الرحلة . والله تعالى يشكر مـا اولانيه من جزيل احسانه ، وسابغ امتنانه . ويديم ايامه ، ويمتع المسلمين بطول بقائه .

وها هنا انتهت الرحلة المسماة « تحفة النظّار ، في غرائب الامصار وعجائب الاسفار » وكان الفراغ من تقييدها في ثالث ذي الحجّة عام ستة وخمسين وسبعمائة [1] « والحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى » [2] .

خاتمة ابن جزي

انتهى ما لخصته من تقييد الشيخ ابي عبدالله محمد ابن بطّوطة، اكرمه الله . ولا يخفى عـلى ذي عقل ان هذا الشيخ هو رحّال العصر ، ومن قال : رحّال هذه الملّة لم يبعد . ولم يجعل بلاد الدنيا للرحلة ، واتخذ حضرة فاس قرارًا ومستوطنًا بعد طول جولانه ، الّا لما تحقّق ان مولانا ، ايّده الله ، اعظم ملوكها شأنًا ، واعمّهم فضائل ، واكثرهم احسانًا ، واشدّهم بالواردين عليه عناية ، واتمهم الى من ينتمي الى طلب العلم حماية .

فيجب على مثلي ان يحمد الله تعالى ، لانه وفّقه في اول حالــه وترحاله ، لاستيطان هذه الحضرة ، التي اختارها هذا الشيخ ، بعد رحلة

---

١) الموافق : ٩ كانون الاول ١٣٥٥

٢) القرآن ٢٧ [النمل] ٦٠

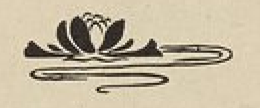
خمسه وعشرين عاماً . انها لنعمة لا يُقدَّر قدرها ، ولا يوفى شكرها . والله تعالى يرزقنا الاعانة على خدمة مولانا امير المؤمنين ، ويبقي علينا ظلّ حرمته ورحمته ، ويجزيه عنا ، معشر الغرباء المنقطعين اليه ، افضل جزاء المحسنين .

اللهمَّ ! وكما فضّلته على الملوك بفضيلتَي العلم والدين ، وخصصته بالحلم والعقل الرصين ، فمدّ لملكه اسباب التأييد والتمكين ، وعرّفه عوارف النصر العزيز والفتح المبين ، واجعل الملك في عقبه الى يوم الدين ، وأره قرّة العين في نفسه ، وبنيه ، وملكه ، ورعيّته ، يا ارحم الراحمين .

وصلّى الله وسلّم على سيّدنا ومولانا ونبيّنا محمد ، خاتم النبيين ، وإمام المرسلين ، والحمد لله رب العالمين . وكان الفراغ من كتبها في صفر عام سبعة وخمسين وسبعمائة [١] ، عرف الله من كتبها !

---

١) الموافق : شباط ١٣٥٦



فهرس

يتناول الاجزاء الثلاثة من الرحلة ، مع المقدمة

الفصل الرابع عشر: على

طريق الصين

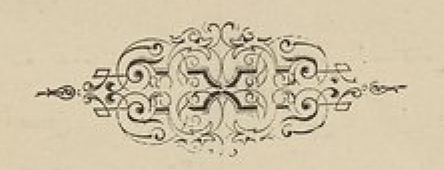
الفصل الخامس عشر:

الصين

الفصل السادس عشر:

من باكين الى فاس

الرحلة الثانية:




Princeton University Library
32101 081406694